WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مجلة تدبر

المُغايَرَةُ بينَ "فَلَمَّا"، "وَلَمَّا" فِي سُورَةِ يُوسُفَ

قراءةٌ سِياقيَّةٌ

The contravention between (فلمَّا) Fa-lammā and (ولمَّا) Wa-lammā in Sūrat Yūsuf: A Contextual Approach

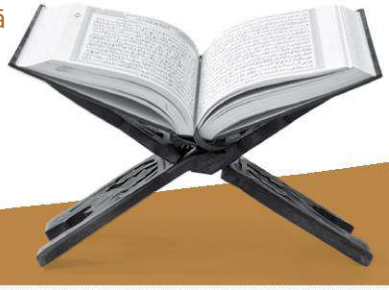

(Issn-L): 1658-7642

DOI Prefix 10.62488

عضو crossref

الأستاذ الدكتور: مصطفى محمَّد رزق السَّواحليّ

الأستاذ بكليّة اللغة العربيَّة بالقاهرة، جامعة الأزهر

تم استلام البحث: ٠٩/ ٠٩/ ١٤٤٧هـ، ٢٦/ ٠٢/ ٢٠٢٦

تاريخ قبول النشر: ٢١/ ١٠/ ١٤٤٧هـ، ٠٩/ ٠٤/ ٢٠٢٦

نشر في: ١٦/ ١١/ ١٤٤٧هـ، ٠٣/ ٠٥/ ٢٠٢٦

مدة إنجاز البحث لتاريخ خطاب القبول: ٤٢ يومًا

المدة الإجمالية من استلام البحث لتاريخ النشر المتوقع: ١٥٥ يومًا

متوسط مدة النشر منذ استلام البحث: ٩٩ يومًا

Pro.Mustafa Muhammad Rizq Elsawahly

Professor of Arabic Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University

Google scholar

Academia

Orcid

١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦م

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ملخَّص البحث

المُغايَرَةُ بينَ "فَلَمَّا"، "وَلَمَّا" فِي سُورَةِ يُوسُفَ: قراءةٌ سِياقيَّةٌ

يَهتمُّ الحُفَّاظُ بإحصاءِ مواضعِ المُتشابهاتِ القُرآنيَّةِ، وكثيرٌ منهم يُعْنَىٰ بكتابةِ أو حفظِ مَنظوماتٍ لضبطِ المتشابهاتِ، أو تأليف كتبٍ في تبويبِها وسردِها، وهي طريقةٌ ميكانيكيَّةٌ عتيقةٌ تُغْنِي عنها اليومَ في مقام الإحصاءِ أقلُّ الحواسيبِ، بل تفوقُها يقينًا سُرعةً وكفاءةً، وهي- وإنْ كانتْ تَعصِمُ القُرَّاءَ من الزَّلَلِ أثناءَ الاستظهارِ في الصَّلواتِ والمُسابقاتِ ونحوها- لكنَّها كثيرًا ما تَصرِفُهُم عن تدبُّر المعاني، وهي الغايةُ التي حضَّنا الله عليها في غير آيةٍ، وحرصَ علىٰ الالتزام بها الصَّحابةُ والتَّابعون والعلماءُ الرَّاسخون.

وقد ورد التَّعبيرُ بـ(فلـمَّا)، (ولـمَّا) في سُورة يوسفَ في تسعةَ عشرَ موضعًا، اهتمَّ الحفَّاظُ بالنَّظم فيها، أو وضعِ ضوابطَ إحصائيَّةٍ لها، ويُشيرُ هذا البحثُ إلىٰ تلك الضوابطِ؛ تقديرًا لجهود أصحابها، لكنَّه يُحاولُ الغَوْصَ وراء أسرارِ البيانِ القرآنيِّ في تلك المواضع، وهي أسرارٌ لا تَقِفُ عندَ حدودِ ما قرَّرهُ سادَتُنا النُّحاةُ من دلالةِ الواوِ علىٰ مُطْلَقِ الجَمْعِ، ودَلالةِ الفاء علىٰ التَّرتيبِ والتَّعقيبِ؛ لِتدخُلَ في مَسارِبِ النَّفسِ، وتربطَ الاستعمالَ بفحوىٰ السِّياق سِباقًا ولحاقًا، ومن ثَمَّ الوقوف علىٰ أسرارٍ بيانيَّةٍ عجيبةٍ، بعضُها يتعلَّقُ بالمدَّة طولًا وقِصَرًا، وهي ظاهرةٌ تستحقُّ الوقوفَ عندها في

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

قصَّةٍ مُتكاملةٍ من المهد إلىٰ الكُهولة، وبعضُها تارةً يُجلِّي الفرقَ بينَ التوتُّرِ والاضطرابِ النَّفْسِيِّ من جهةٍ، والاسترخاءِ والطُّمأنينةِ منْ جهةٍ أخرىٰ، وتارةً يُظْهِرُ البَوْنَ ما بينَ السُّرعةِ والـمُخالَسَةِ في مقابلِ التريُّثِ والهدوء، وحينًا يشير إلىٰ المفاجأةِ الـمُذهِلَةِ التي تكسِرُ أُفُقَ التَّوقُّعِ، في مقابلِ النَّتيجةِ المنطقيَّةِ المتوقَّعَةِ. وتلكَ نتيجةٌ أرجو أنْ تكونَ سَطرًا في موسوعةِ الإعجازِ البلاغيِّ للقرآنِ الكريمِ، تلك الموسوعةُ التي كانَ العُلَماءُ ولا يَزالونَ يُضِيفونَ إليها من قَرائحِ عُقُولهم؛ وثمراتِ امْتياحِهِم من مَعينِ البيانِ المعجزِ، في الكتابِ الخالدِ الذي لا يخلَقُ علىٰ كثرةِ الرَّدِّ.

الكلمات المفتاحيَّة: البلاغة القرآنيَّة – سورة يوسف – فلمَّا – ولـمَّا

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

Abstract

The contravention between (فلمَّا)Fa-lammā and (ولمَّا)Wa-lammā in Sūrat Yūsuf: A Contextual Approach

Qur'an memorizers have long paid close attention to identifying and recording similar or repetitive expressions in the Qur'an (al-mutashābihāt). Many have relied on mnemonic poems, or memorizing systems to control similar verses, or authoring books on classifying and listing them. This is an old mechanical method that is being replaced today by the least powerful computers in terms of counting, and it is certainly more efficient and faster. Although it protects the readers from errors during memorization in prayers, or competitions, and the like, it often distracts them from pondering the meanings, which is the goal that Allah urged us to do in more than one verse, and which the Companions, the Followers, and the great scholars were keen to adhere to.

The expressions (فلمَّا) fa-lammā and (ولمَّا) wa-lammā appear nineteen times in Sūrat Yūsuf. These occurrences have attracted the attention of memorizers, who have attempted to organize them through memorization rules, or statistical observations. This study acknowledges and appreciates those efforts, but it moves beyond enumeration to explore the contextual and rhetorical significance of these two expressions. Rather than limiting the analysis to the traditional grammatical view—where wāw generally indicates coordination and fā' indicates sequence and immediacy—this research examines how their use is shaped by context and meaning. The study shows that the choice between fa-lammā and wa-lammā often reflects subtle differences related to the length of time, emotional states, and narrative pacing. In some contexts, it highlights psychological tension or disturbance, while in others it conveys calmness and reassurance. At times, it suggests speed and sudden action, and at other times deliberation and composure. In certain passages, it points to an unexpected and striking turn of events,

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718 المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

whereas in others it leads to an outcome that appears natural and anticipated. The study argues that these patterns reveal important aspects of Qur'anic rhetorical precision and contribute to a deeper understanding of the narrative coherence and expressive richness of Sūrat Yūsuf.

Keywords: Qur'anic Rhetoric; Sūrat Yūsuf; Fa-lammā; Wa-lammā

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الرَّحيم الرَّحمن، خلقَ الإنسان، علَّمَهُ البيان، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَنْبَعِ البيان، ومَهْبِطِ العِرفان، والمؤدَّبِ بالقُرآن، سيِّدنا محمَّد سيِّدِ ولدِ عَدنان، وعلىٰ آلِهِ وأصْحابِهِ والتَّابعينَ لهمْ بإحسان.

أمَّا بعدُ:

فمهما تنوَّعتْ وجوهُ إعجازِ القرآنِ الكريم، ومهما كشفَ العلماءُ عن وجوهٍ لم يُحِطْ القُدماءُ بها علمًا في الذِّكر الحكيم، ومهما رَجَعَ العلماءُ البصرَ في مجالي الإعجاز، فانقلبَ إليهمُ البصرُ تارةً وهو بالطَّرِيفِ المبتكَرِ قريرٌ، وتارةً وهو عن الـمُخَبَّأ المكنونِ خاسئًا وهو حَسيرٌ، فإنَّ الإعجازَ البلاغيَّ يبقىٰ مُتربِّعًا علىٰ عرش تلك الوجوهِ، مُستعصِيًا علىٰ الانزياحِ عن تلك المكانةِ الباذِخَة، وإنْ كانَ سَنَا بَرقِ العُلومِ الحديثةِ يَكادُ يخطَفُ بالأبصارِ.

وقد ورد في الأثر وصفُ القرآن الكريم بأنَّه «لَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَىٰ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ»[(١)]، وهو المعنىٰ الذي وضَّحَهُ بقلمه الـمَكينِ

(١) محمَّد بن عيسىٰ التِّرمذيّ، "سنن التِّرمذيّ". تحقيق أحمد محمد شاكر (وآخرين). باب ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم (٢٩٠٦)، (ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م). ٥: ١٧٢. وقد رُفِعَ إلىٰ النبيِّ ﷺ في غير مصدر، لكنَّ أكثر علماء الحديث علىٰ ضعف أسانيد رفعَهُ إلىٰ النبيِّ ﷺ، وأنَّ الصَّحيحَ منه موقوفٌ علىٰ عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، =

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الـمُبينِ مُصطفىٰ صادق الرافعيُّ (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) قائلًا: «ولَسْنَا ندَّعي أنَّنا أشرفْنا علىٰ الأمَد، وأوفَيْنا علىٰ مُعْجِزَة الأبد، فإنَّ هذا أمرٌ ضيِّقٌ كثيرُ الالتواء لمن تلمَّسَ جوانِبَه، واقتحَمَ مصاعِبَه، وما أشبهَ القرآنَ الكريم- في تركيب إعجازه، وإعجاز تركيبه- بصورةٍ كلاميَّةٍ من نظام هذا الكونِ الذي اكتَنَفه العلماءُ من كلِّ جهةٍ، وتَعاوَرُوه من كلِّ ناحيةٍ، وأخلَقُوا جوانِبَه بحثًا وتفتيشًا، ثم هو بعدُ لا يزالُ عندهمْ علىٰ ذلك خَلقًا جديدًا، ومَرامًا بعيدًا، وصعبًا شديدًا، وإنَّما بلغوا منه إذ بلغوا منه نَزْرًا تهيَّأتْ لِضَعْفِه أسبابُه، وقليلًا عُرِفَ لِقِلَّتِهِ حِسَابُه، وبقي ما وراء ذلك من الأمرِ الـمُتعذِّرُ الذي وقفتْ عِنْدَه الأعذار؛ والابتغاءُ الـمُعْجِزُ الذي انحطَّ عندَهُ قَدْرُ الإنسانِ؛ لأنَّهُ مِـمَّا سَمحتْ به الأقدار»[٢].

ويقيني أنَّ الله- جَلَّتْ قُدرتُه- يُفيضُ علىٰ مَنْ يشاء من عباده سَيْبًا مُتدفِّقًا من تلك الوجوه، كلَّما أنعموا النَّظَر في الكتاب العزيز، وأخلصوا النيَّةَ في تتبُّعِ وُجوهِ إعجازِهِ، بِـما يَتلاءمُ مع روح كلِّ عصر، وأحوال كلِّ مصر، فما أحرىٰ تلك الوجوهَ

أو عليٍّ بن أبي طالبٍ ﷺ، قال الترمذي بعدما أورده: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ». وقد تعقَّبه الحافظ ابن كثيرٍ في "فضائل القرآن"، وذكر له طريقًا آخر، ثم قال: وقُصارىٰ هذا الحديث أنْ يكون من كلام أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، وقد وَهِمَ بعضُهم في رفعه، وهو كلام حسنٌ صحيحٌ، علىٰ أنَّه قد روىٰ له شاهد عن عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبيِّ ﷺ. إسماعيل بن عمر ابن كثير، "فضائل القرآن". تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري. (ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٦هـ). ص٤٥-٤٦.

(٢) مصطفىٰ صادق الرَّافعيّ، "إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة". (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م). ص١٤٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المتجدِّدةَ- دونَ أدنىٰ تَشبيهٍ أو مقارنةٍ- بقول أبي تمَّام الطَّائيِّ (ت٢٣١هـ) في مدح أبي دُلَفٍ العجليِّ (ت٢٢٦هـ)[٣]:

وَلَوْ كَانَ يَفْنَىٰ الشِّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَتْ ... حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي العُصُورِ الذَّوَاهِبِ
وَلَكِنَّهُ فَيْضُ العُقُولِ، إِذَا انْجَلَتْ ... سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

وهذا البحثُ يطوفُ بنا في رياض الإعجاز، من خلال أداةٍ تكرَّرتْ تسعَ عشرة مرَّةً في سورة يوسف، بالفاء في ثلاثةَ عشر موضعًا، وبالواو في ستَّة مواضع، وهو ما يقتضي وُجودَ فروقٍ بيانيَّةٍ بينها يقينًا؛ لأنَّ كلامَ الحكيمِ العَليمِ مُنزَّهٌ عن اللَّغوِ والعبثِ، يقول أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخطيب الإسكافيّ (ت٤٢٠هـ) مُعلِّقًا علىٰ وجودِ حكمةٍ بالغةٍ، عَرَفها مَنْ عَرَفَها، وجَهِلَها مَنْ جَهِلَها، حتَّىٰ في التنوُّعِ الإعرابيِّ مثل: والصَّابئين، والصَّابئون: «للسَّائلِ أنْ يسألَ، فيقولَ: هل في اختلاف هذه الآيات بتقديمِ الفِرَقِ وتأخيرِها، ورفعِ الصَّائبين في آيةٍ ونَصْبِها في أخرىٰ غرضٌ يَقتضِي ذلك؟ فالجوابُ أنْ يُقال: إذا أورد الحكيمُ- تقدَّسَتْ أسماؤُهُ- آيةً علىٰ لفظةٍ مخصوصةٍ، ثمَّ أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غَيَّرَ فيها لفظةً عمَّا كانتْ عليه في الأولىٰ، فلا بُدَّ من حكمةٍ هناك تُطْلَب، فإذا أدركْتُمُوها فقدْ ظَفِرْتُم، وإنْ لم تُدْركُوها فليس لأنَّه لا حكمةَ هناك، بل جَهِلْتُم»[٤].

---

(٣) حبيب بن أوس أبو تمَّام الطَّائيّ، "ديوان أبي تمَّام". شرح الخطيب التَّبريزيّ، تحقيق: محمد عبده عزَّام. (ط٥، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م). ١: ٢١٤.

(٤) محمَّد بن عبد الله الإسكافيّ، "درَّة التنزيل وغرَّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز". رواية ابن أبي الفرج الأردستانيّ. (ط١، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٩٣هـ/ =

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وفي سياق البحث عن الأسرارِ البلاغيَّةِ وراءَ تلكَ المغايرةِ لا نكتفي بالكلماتِ العامَّةِ من قبيلِ إثراءِ النصّ، أو خلقِ فضاءاتٍ دلاليَّةٍ واسعةٍ، أو إثارةِ المتلقِّي ولفتِ انتباهِه بإشعارِه بالخروجِ عن النَّمط المألوفِ، أو جعلِ القارئِ مُتفاعلًا مع النصِّ... وغيرها[٥]، وإنَّما لا بدَّ من قراءة السِّياقِ قراءةً واعيةً، ومُطاردة المعنىٰ؛ بغيةَ الوقوفِ علىٰ بعضِ تلك الأسرارِ البلاغيَّةِ؛ لِتكونَ زادًا للمُسافرِ في رحلته في رياض القرآن، بدلًا من المنظوماتِ والإحصاءاتِ التي يُسْتَعان بها علىٰ الحفظ، ولكنَّه- في تقديري- استظهارٌ خالٍ من التدبُّر، وفي الوقت نفسه تقدم دليلًا إضافيًّا علىٰ إعجاز القرآن الكريم، حيث يختار اللَّفظ المناسب للسِّياق، والذي يحملُ من "الإيحاءاتِ ما لا يستطيعُ غيرُهُ أنْ يُؤدِّيَهُ بذاتِ القوَّة والوضوح"[٦].

١٩٧٣م)، ص٢٠-٢١.

(٥) ينظر: أحمد عبد الله نوح؛ إيمان عبد جاسم، "التحوُّل النسقيُّ لألفاظ الرؤيا في القرآن الكريم: دراسة في تحليل الخطاب". **الخليج العربي**. مج.٥٢، ملحق، (مارس ٢٠٢٤م): ٥٣٧. علىٰ الرابط:
https://0810gjb81-1106-y-https-search-mandumah com. mplbci. ekb. eg/Record/1580396

(٦) نور حسين عزيز؛ يعقوب يوسف الياسري، "المغايرة اللفظية بين النص القرآني والنص الروائي دراسة دلالية. لفظ (الغناء) أنموذجًا". **مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ذي قار**. مج.١٥، ع.٤. (ديسمبر ٢٠٢٥م): ٣٧٧. علىٰ الرابط:
https://jedh. utq. edu. iq/index. php/main/article/view/750/685

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أهميَّة البحث:

تنبعُ أهميَّةُ البحثِ من كونِهِ مُتعلِّقًا بالقرآنِ الكريمِ عُمومًا، ومن تعلُّقِه بالإعجازِ البلاغيِّ خُصوصًا، وهو أعظمُ وأصَلُ وُجوهِ الإعجازِ، ثمَّ من تعلُّقِهِ بسورةِ يوسف، التي تنفردُ من بين جميعِ سُورِ القرآنِ بتضمُّنِها قصَّةً مكتمِلةً، محبوكةَ البناءِ من مَطلَعِها إلىٰ خِتامها، وكلُّها شَواهِدُ تُعظِّمُ شأنَ القرآنِ في قلوبِ المتلقِّينَ.

مشكلة البحث:

وقعت المغايرةُ بين التعبيرِ بـ (فلمَّا)، (ولـمَّا) في سورةِ يوسف، حيثُ تكرَّرتِ الأداتانِ تسعَ عشرةَ مرَّةً، سِتٌّ منها بالواو، والبقيَّةُ بالفاء، وهي ظاهرةٌ استرعت انتباهَ الجامعينَ لمتشابهاتِ القرآنِ الكريمِ، ولكنَّها لم تلفتْ أنظارَ جُلِّ الباحثينَ في الإعجازِ القُرآنيِّ، والَّذينَ تنبَّهوا لها اكتفَوْا بكلامٍ عامٍّ حولَ الدَّلالةِ النَّحويَّةِ للفاءِ والواوِ، وهو ما لا ينطبقُ علىٰ جميعِ السِّياقات؛ ممَّا دفعَ الباحثَ إلىٰ الغوصِ في أعماقِ تلك السِّياقاتِ؛ لاستنباطِ جُملةٍ من أسرارِ المغايرةِ.

أسئلة البحث:

١. كم مرَّةً ورد التَّعبيرُ بـ (فلمَّا)، (ولـمَّا) في سورةِ يوسف؟
٢. ما مدىٰ تنبُّهِ جامعي المتشابهاتِ لها، وكيف ضَبَطُوها؟
٣. ما مدىٰ تنبُّهِ الباحثين في إعجازِ القرآنِ الكريمِ لها، وكيفَ عالجُوها؟
٤. ما القواعدُ التي استنبَطها الباحثُ بعدَ استقراءِ جميعِ السِّياقاتِ؟

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أهداف البحث:

١. إحصاءُ مرَّاتِ ورود التَّعبيرِ بـ (فلمَّا)، (ولـمَّا) في سورةِ يوسف.
٢. تتبُّعُ طرائقِ ضبطِ تلك المواضعِ لدىٰ جامِعِي المتشابهاتِ القرآنيَّة.
٣. مناقشةُ مُعالجةِ الباحثينَ في إعجازِ القرآنِ الكريمِ لأسرار المُغايرةِ بين التَّعبيرَيْنِ.
٤. بيانُ القواعدِ التي استنبَطها الباحثُ، وتطبيقُها علىٰ جميعِ السِّياقاتِ.

منهج البحث:

استعان الباحثُ بالمنهجِ الاستقرائيِّ في إحصاءِ جميع مواضعِ التعبيرَيْنِ، وقراءةِ سِياقاتها واحدًا فواحدًا، ثمَّ بالمنهجِ البلاغيِّ التَّحليليِّ للغَوْصِ في أعماقِها؛ بُغيةَ الوقوفِ علىٰ الأسرارِ البلاغيَّةِ الكامِنَةِ وراءَ تلك المغايرةِ.

الدِّراسات السَّابقة:

تكادُ تنفردُ سورةُ يوسف – فيما أعلمُ- بكثرة الموسوعاتِ والكتبِ والبُحوثِ التي كَسَرها مؤلِّفُوها علىٰ تفسيرِها، أو تحليلِ خَصائِصها الأسلوبيَّة من زوايا لسانيَّةٍ وبلاغيَّةٍ مختلفةٍ، أو تتبُّعِ عناصرِ البيانِ القصصيِّ فيها، أو استنباطِ ما فيها من دروسٍ تربويَّةٍ ودعويَّةٍ وحِجاجيَّةٍ؛ لأنَّها السُّورةُ الطَّويلةُ الوحيدةُ التي تضمَّنتْ قصَّةً كاملةً تدورُ حولَ شخصيَّةٍ محوريَّةٍ واحدةٍ، هي شخصية يوسف عليه السلام حيثُ ظلَّتْ الأحداثُ تنمو معه منذ براءة الطفولة حتىٰ هَيْبة الـمُلك، في سياقٍ فَنِّيٍّ محكم البناء، محبوكِ السَّردِ، وتمثِّلُ الرُّؤيا جوهرَ الحبكة الفنيَّةِ فيها؛ ابتداءً من رؤيا الغلام الصغير

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وقصِّها علىٰ الأب، حتىٰ تحقُّقها بحذافيرها، مما يمثِّلُ وحدةً موضوعيَّةً وعُضويَّةً مُتكاملةً، ومن الناحية التعبيريَّةِ، لا تكادُ تخطئُ عينٌ بصيرةٌ أنَّ للسورةِ سِحرًا خاصًّا، يُشعرك بإيقاعاتٍ «عذبةٍ علويَّةٍ ترافق ما يتراءىٰ لك فيها من صور الحياة الإنسانيَّةِ، وما تقرأه من ورائها من أحكام القضاء، وسُطورِ القدر»[٧].

ومن العجيبِ أنَّ ظاهرةَ المغايرةِ التَّعبيريَّةِ بين هاتينِ الأداتينِ المكررتين تسعَ عشرةَ مرَّةً لم تَسْترَعِ انتباهَ جُلِّ مؤلِّفي هذه الأسفار أو تلك الموسوعات- علىٰ جلالة أقدارهم، وتمام التقدير لجهودهم- وفي الوقت نفسه نجد عِنايةً تامَّةً من جَامعي المتشابهات ببيان مواضعها، وتنافسهم في نظمها وتقريبها للحفَّاظ وروَّاد المسابقاتِ، وكأنَّ العناية بالحفظِ مقدَّمةٌ علىٰ التدبُّرِ في السياق، والغوصِ في الدَّلالاتِ التعبيريَّة، التي لا تخطئها عينٌ بصيرةٌ! نكتفي بسبعة من هؤلاءِ الدراسين، مع ترتيبهم حسب أسبقيَّة كلِّ دراسة منها:

(١) الشيخ عبد الله العلميُّ الغزِّيُّ الدِّمشقيُّ (ت١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)، الذي قدَّم كتابًا طريفًا في منحاه، أسماه: (مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام)[٨]، حيث تخيل مؤتمرًا عقد في المسجد الأقصىٰ، دُعِيَ إليه العلماء من شتىٰ الأمصار والألوان والتخصصات؛ للاشتراك في تفسير السورة الكريمة، وقد جعله علىٰ هيئة جلسات،

(٧) محمد المبارك، " دراسة أدبية لنصوص من القرآن". (ط٥، بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٨١.

(٨) نشر الكتاب بعد وفاة المؤلف بنحو خمسة وعشرين عامًا، حيث صدرت طبعته الأولىٰ في دار الفكر بدمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، بتقديم العلامة محمد بهجة البيطار.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ووصف نفسه بأنَّه كاتب سرِّ المؤتمر، ويقعُ الكتاب في مجلدين كبيرين، يبلغان ١٤٨٠ صفحة، ولم تنعقد منها جلسةٌ واحدةٌ حولَ بلاغة المغايرة بين هاتين الأداتينِ، علىٰ الرغم من تضمُّن الكتاب كثيرًا من المباحث والفوائد اللغويَّة والبيانيَّة.

(٢) الدكتور حسن محمَّد باجودة في كتابه: (الوحدة الموضوعيَّة في سورة يوسف عليه السلام)[٩]، لم يشر إلىٰ هذه الظاهرة، وإنَّما صرف عنايته إلىٰ تصوير شخصيات القصة في مراحلها المختلفة.

(٣) الدكتور محمَّد علىٰ أبو حمدة في كتابه: (في التذوُّقِ الجماليِّ لِسُـــورةِ يُوسف: دراسة نقديَّة إبداعيَّة)[١٠]، حيث عنىٰ باستقراء خصائص بعض العناصر القصصيَّة مثل الشيطان والقميص والرقم سبعة وغيرها، لكنَّه لم يُسلِّط الضوء علىٰ هذه الظاهرة، علىٰ الرغم من وقوفه أمام بلاغة التعبير بـ (فلمَّا) في الموضع الأول قائلًا: «وما كان أحسن لفظة (فلمَّا)، هذه التي جاءت لتحقِّق في الإشباع اللفظي للألف، ما يعكس مناخ الاستقرار الزَّمنيّ في هذه السَّاعاتِ الثقيلةِ المؤرِّقةِ»[١١].

(٩) صدرت طبعته الأولىٰ عن دار الكتب الحديثة بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م

(١٠) صدرت طبعته الأولىٰ عن دار البشير في عمَّان، الأردنّ، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(١١) محمد علي أبو حمدة، "في التذوُّقِ الجماليِّ لِسُورةِ يُوسف: دراسة نقدية إبداعية". (ط١، الأردنّ، عمَّان: دار البشير، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٦٦.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

والواقع أنَّ الألفَ ثابتةٌ بين التعبيرين: (فلمَّا)، (ولـمَّا)، وثقل الساعات وما يصاحبها من القلق والأرق تحقَّقَ في بعض المقاماتِ دون بعض، وليس مردُّه إلىٰ الألف، وإنما مردُّه- في تقديري- إلىٰ المغايرة بين الفاء والواو.

(٤) الدكتور أحمد نوفل في كتابه: (سورة يوسف دراسة تحليليَّة)[١٢] وقد صرف جلَّ عنايته- في القسم الأولىٰ من الكتاب- للحديث عن الشخصيات وعناصر البناء الفني للقصة، وصورة المجتمع المصري كما تصوره السورة، وجماليات التناسق الفني في السورة، وعني في القسم الثاني بالتفسير التحليلي للسورة، وأسهب في بيان مذاهب العلماء في جواب (فلمَّا) في الموضع الأول أهو مذكور أم محذوف؟ وما تقديره إن كان محذوفًا؟

وقد أشار ضمنًا في أحد مواضع (فلمَّا) إلىٰ معنىٰ السُّرعة والمفاجأة، لكنَّ فحوىٰ كلامه يفيد أنَّه يرىٰ أنَّ السُّرعةَ مُستفادةٌ من (لـمَّا) الحينيَّة، دون ذكر لتغاير الواو والفاء، حيث قال: «ثم لاحظْ (فلمَّا) وهي في النصف الثاني من السورة متكرِّرة، تكاد لا تخطئها عينك في كلِّ بضعة أسطر، وهي تفيد التَّحديد الزَّمنيَّ الذي يشير إلىٰ انتهاء ما قبله، وابتداء ما بعده، في أول لحظات هذا الابتداء، مثل: فأرسلْ في المدائن حاشرين. يأتوك بكل ساحر عليم. فلما جاء السحرة قالوا... فهم في أول لحظة وصولهم، بعد أن انتهىٰ تجميعهم من الأقاليم قالوا. وهنا بعد وصول الإخوة كان أول عمل مواجهة أبيهم، فلما رجعوا قالوا، أي أول شيء فعلوه بعد الرجوع»[١٣].

(١٢) صدرت طبعته الأولىٰ عن دار الفرقان، عمَّان، الأردنّ، عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(١٣) أحمد نوفل، "سورة يوسف دراسة تحليلية". (ط١، الأردن، عمَّان: دار الفرقان، ١٤٠٩هـ/ =

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

لكنَّه عاد فكررَّ هذه الفكرة في موضع ورد فيه التعبير بـ (ولـمَّا) حيث قال: «ونقول في (ولـمَّا) ما قلنا من قبل، إنَّها تعني أنَّ يوسف بمجرد أن دخل إخوانه- وفيهم شقيقه- عليه، أوحىٰ إليه أنَّه أخوه»(١٤).

(٥) الدكتور إبراهيم عوض، حيث ألَّف كتابًا عنوانـه: (سـورة يوسـف: دراسـةٌ أسلوبيَّـةٌ فَنيَّـةٌ مُـقارنةٌ)(١٥)، لكنَّه صرف جلَّ عنايته لبيانِ السِّماتِ الأسلوبيَّةَ التي تدلُّ علىٰ أنَّ السُّورةَ مَكيَّةٌ، فذكر منها أربعين سمةً؛ ثم عالج بعض القضايا المتعلقة بحياة يوسف عليه السلام، لكنَّه لم يُشِرْ إلىٰ هذه الظاهرة قطُّ.

(٦) الأستاذان محمَّد بن موسىٰ نصر، وسليم بن عيد الهلالي قدَّما: (إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف عليه السلام)(١٦)، وهو سِفْرٌ ضخمٌ يقع في ١١٥٦ صفحة، لكنَّهما لم يشيرا إلىٰ بلاغة المغايرة بين الأداتين، علىٰ الرغم من ذكرهما عشرات النكت والفوائد عقب كلِّ آية من السورة.

(٧) الشيخ عليش متولي بدويّ البنيّ، حيث قدَّم للمكتـبة التفـسيريَّة: (موسوعة تفسـير سورة يوسف)(١٧) في ثلاثة أسفارٍ ضخام تقع في ١٦٧٢

١٩٨٩م)، ص٤٦٩-٤٧٠. والآيات التي أشار إليها المؤلف في قصة موسىٰ وفرعون غير متفقة تمامًا مع النص القرآني، الذي فيه من الاختلافات الدقيقة لهذا المشهد بين أكثر من سورة. وقد أعاد فكرة المسارعة نفسها في تفسيره لموضعين آخرين من مواضع الفاء، ص٥٤٣، ص٥٤٦.

(١٤) أحمد نوفل، "سورة يوسف دراسة تحليلية"، ص٤٩٢.

(١٥) صدرت الطبعة الأولىٰ للكتاب عن دار النهضة العربيَّة بالقاهرة عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(١٦) صدرت الطبعة الأولىٰ للكتاب في مكتبة الرشد بالرياض عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٧) طبع الكتاب في الكويت عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، تحت إشراف لجنة آسيا، علىٰ نفقة وقف =

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

صفحة، لكنَّه لم يُشِرْ إلىٰ مسألة المغايرة التعبيريَّة بين الأداتين، علىٰ الرغم من عنايته بإعراب الآيات كلمةً كلمةً، وعنايته بتقديرِ جواب الشرط المحذوف في بعض الآيات، وغيرها من المسائل اللغويَّة.

وقد شاهدتُ مقطعًا مرئيًّا في أقلَّ من خمس دقائق، للدكتور فاضل صالح السَّامرائيّ، علىٰ قناة الشَّارقة حيث سأله المذيعُ المحاوِرُ عن الفرق بين التعبيريْنِ، فأجاب مُقتصرًا علىٰ دلالة الفاء علىٰ الترتيب والتعقيب، مما يستلزم السُّرعة، وطبَّقها علىٰ آيةٍ واحدةٍ، بينما الواو تدل علىٰ مطلق الجمع، مما لا يقتضي السُّرعة، وطبقها علىٰ آيةٍ أخرىٰ[١٨].

ولم أقفْ له علىٰ بحثٍ مستوفٍ للمسألة فيما قرأتُ من كتبه الكثيرة التي أخلَصَها للفروق البيانيَّة في القرآن الكريم، مثل: أسئلة بيانيَّة في القرآن الكريم، علىٰ طريقِ التَّفسير البيانيّ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآنيّ، لمسات بيانيَّة في نصوص التنزيل، من أسرار البيان القرآنيّ، مراعاة المقام في التعبير القرآنيّ.

خطة البحث:

ابتدأ الباحثُ بذكرِ أساسيَّاتِ البحثِ: (خلفيَّة البحث، وأهميَّته، وإشكاليَّته، وأسئلته، وأهدافه، ومنهجه، والدِّراسات السَّابقة، وخُطَّته)، ثم قسَّمه إلىٰ أربعة مباحث:

المرحوم بدر جاسم النصف.

(١٨) ينظر الحوار علىٰ هذا الرابط (استُرجِعتْ بتاريخ ٠٣/ ٠٥/ ٢٠٢٦م):

https://www.youtube.com/watch?v=UH2itsgDIII

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الأول: القواعدُ الـمُستنبَطَةُ، وهي القواعدُ السِّتُّ التي توصَّلَ إليها الباحث بعد استقرائه السِّياقات، وقد آثر أن تكونَ في البدايةِ؛ ليكونَ القارئُ على ذُكْرٍ منها أثناءَ رِحلَتِهِ في رياضِ السِّياقاتِ.

المبحث الثاني: التَّحليلُ النَّحويُّ للأدوات، ويتضمَّنُ الإشارةَ بإيجازٍ إلىٰ حديثِ النُّحاةِ عن الفاءِ والواوِ ولـمَّا، ليكونَ شُعاعًا هَاديًا لما سيأتي في التَّحليلِ لاحقًا.

المبحث الثالث: محاولاتُ الضَّبطِ الإحصائيِّ: وفيه أوردَ الباحثُ ما وقفَ عليهِ من مُحاولاتِ المهتمِّينَ بمُتشابهاتِ القرآنِ الكريمِ لضبطِ تلك المواضعِ نظمًا أو نثرًا.

المبحث الرابع: في رياضِ التَّحليلِ البَلاغيِّ: وفيه وقفَ الباحثُ أمامَ السِّياقاتِ التِّسعةَ عشرَ؛ واحدًا فواحدًا؛ لبيانِ مدىٰ تلاؤُم وانسجامِ الأداةِ المستخدمةِ مع السِّياقِ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الأوَّل:
القواعدُ المُستنبَطةُ

بعد استقراء الدِّراسات السَّابقةِ المشار إليها آنفًا، والتي أُهْمِلَ في أكثرها التَّفريقُ بين الأداتَيْن، واقتُصِرَ في بعضها علىٰ ما قاله النُّحاةُ من إفادةِ التَّرتيب والتَّعقيب في الفاء، وإفادةِ مطلق الجمع في الواو، ظهر للباحث أنَّ قَصْر المسألةِ علىٰ هذا الملمحِ يختزلُ كثيرًا من المعاني البيانيَّة، ويُهدرُ كثيرًا من ظلال المعاني، التي ينبغي الوقوف عليها، وقد تعاقبت الأداتان علىٰ فعلٍ واحدٍ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾، مع أنَّ فعل التَّجهيز واحد، والعملُ متماثلٌ أو مُتقاربٌ، كما تعاقبتا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾، ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ والمسافةُ المقطوعةُ من فلسطين إلىٰ مصر واحدةٌ، وما ذاك إلَّا لأنَّ السِّياق بكلِّ أبعاده النَّفسيَّة مختلفٌ تمامًا.

وقد استقرأتُ سياقات الآيات التسع عشرة، فوقفت علىٰ جُملةٍ من الأسرار التي أستطيع أنْ أجملها في ستِّ قواعدِ:

١. عند الإشارة إلىٰ قِصَرِ المدَّة الزمنيَّة تُستَخدَمُ الفاء، وعند طولها تُستَخدَمُ الواو، وهو ما يتناغم مع الدلالة النحويَّة الأصيلةِ للأداتين.

٢. عند تصوير القلقِ والتوتُّرِ والاضطرابِ النَّفْسِيِّ يُستعانُ بالفاء، وعند تصوير الهدوءِ والاسترخاءِ والطُّمأنينةِ يُستعانُ بالواو.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣. عند أداء العمل مُسارقةً ومُخالسةً يُؤْتَىٰ بالفاء، وعند أدائه بتريُّثٍ وهدوءٍ يُؤْتَىٰ بالواو.

٤. عند وقوع الأمر بصورةٍ فُجائيَّةٍ تكسِرُ أُفُقَ التَّوقُّعِ يُقْتَضَىٰ التَّعبيرُ بالفاءِ، وعند حصوله بطريقةٍ منطقيَّةٍ مُتوقَّعَةٍ يُقْتَضَىٰ التَّعبيرُ بالواوِ.

٥. عند وقوع الفعل مع القصد وتبييت النية يُناسِبُهُ التعبيرُ بالفاء، وعند وقوعه دون قصدٍ أو ترتيبٍ مُسبقٍ يُناسِبُهُ التعبيرُ بالواو.

٦. عند صُدورِ الأمرِ مُقترنًا بالشِّدَّةِ والصَّرامة تُسْتَخْدَمُ الفاء، وعند صُدُورِهِ علىٰ وجه الالتماسِ أو الرَّجاءِ تُسْتَخْدَمُ الواو.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثاني:
التَّحليلُ النَّحويُّ للأدوات

تتضمَّن الكلمتان المبحوثتان (فلمَّا – ولـمَّا) ثلاثَ أدواتٍ، هي:

(١) الفاء: وهي- عند جمهور النحاة- تدلُّ علىٰ الترتيب والتعقيب، وهو معنًىٰ أصيلٌ مُقرَّرٌ في جلِّ الكتب النَّحويَّة، حيث ذكرهُ سِيبويه (ت١٨٠هـ) قديمًا بقوله: «والفاء، وهي تضمُّ الشيء إلىٰ الشيءِ، كما فعلت الواو، غير أنَّها تجعلُ ذلكَ مُتَّسِقًا بعضُه في إثر بعض؛ وذلك قولك: مررتُ بعمرٍ فزيدٍ فخالدٍ»[١٩].

ومهما يكن الخلاف بين النَّحويين في هذين الأمرين[٢٠]، فإنَّ الترتيب الحسِّيَّ الماديَّ في الوجود، أو الترتيبَ المعنويّ في القَدْر والمنزلةِ، والتعقيبَ بوجازةِ الـمُهلة بين المتعاطفين، مما لا تُخطِئُهُ العينُ في جمهورِ شواهدِ العربيَّة في هذا المقامِ، بغضِّ النَّظَرِ عن الشَّواهِدِ القليلةِ التي أوردها مَنْ أثاروا جدلًا حول هذين المعنيين.

(١٩) عمرو بن عثمان سيبويه. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). ٤: ٢١٧.

(٢٠) ينظر في تفصيل ذلك الخلاف: عبد الله بن يوسف ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق: عبد اللطيف الخطيب. (ط١، الكويت: السلسلة التراثية: ٢١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م). ٢: ٤٧٥-٤٨٨. ويراجع: محمد الأمين الخضري، "من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم)". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م). ص١٧-٢١.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

(٢) **الواو**: ولها معانٍ عديدةٌ، فتأتي للعطف والاستئناف والقسم والمعيَّة وجارَّة بمعنىٰ ربَّ... وغيرها، والذي يعنينا هنا العطف، وتدلُّ- في حالة كونها عاطفةً- علىٰ مُطلق الجمع، دون إفادة ترتيب أو تعقيب، قال ابن هشام (ت٧٦١هـ): «وَمَعْنَاهَا مُطلق الجمعِ، فتعطفُ الشَّيْء علىٰ مُصاحِبِهِ، نَحْو ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥]، وعَلىٰ سابقه نَحْو ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحديد: ٢٦]، وعَلىٰ لاحِقه نَحْو ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورىٰ: ٣]»[٢١].

(٣) **لـمَّا**: وتأتي في العربيَّة علىٰ ثلاثِ صُورٍ:

الأولىٰ: أن تكونَ نافيةً جازمةً للفعل المضارع، قالبةً معناه إلىٰ المضيِّ، مع استمرارِ النَّفي بها إلىٰ الوقتِ الحاضرِ، وتوقُّعِ حُصولِ المنفيِّ بها.

الثانية: أنْ تأتيَ استثنائيَّةً بمعنىٰ إلَّا، وتكونُ عادةً مسبوقةٍ بقسمٍ أو نفيٍ.

الثالثة (وهي مناطُ الحديث في هذا البحث): أن تأتي لتعليق أمرٍ علىٰ أمرٍ، فَيُسمِّيها بعضهم حرف وجوب لوجوب، وبعضهم يقول: حرف وجود لوجود، وقد اختلف العلماء فيها، فمذهب سيبويه (ت١٨٠هـ) أنَّها حرف، ومذهب أبي عليّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ) أنَّها ظرف بمعنىٰ حين، ولذا تسمَّىٰ في كثير من المصادر

---

(٢١) ابن هشام: "مغني اللَّبيب عن كُتب الأعاريب"، ٤: ٣٥١-٣٥٢. وينظر في خلاف النَّحويِّين في تلك المسائل: فاضل صالح السَّامرائيّ، "معاني النَّحو". (ط٢، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م). ٣: ٢٥٩-٢٨٥.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

بالحِينيَّة، وجوابها يأتي جملةً فعليَّةً فعلها ماضٍ، أو مضارعٌ، أو جملةً اسميَّةً، على اختلافات بين النُّحاة ليس هنا موضع تفصيلها[٢٢].

(٢٢) ينظر: حسن بن قاسم المراديّ، " الجنىٰ الداني في حروف المعاني". تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م). ص٥٩٤-٥٩٦.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثالث:
محاولات الضَّبط الإحصائيِّ

حاول بعض النَّاظمين وضعَ أبياتٍ لإرشاد القُرَّاءِ إلىٰ المواضع التي وردتْ فيها بالواو، فهي الأقلُّ، ومن ثمَّ تكون بقية المواضع بالفاء؛ لأنَّها الأكثرُ، ولهم في هذا الباب جهودٌ تذكرُ فتشكرُ، بغضِّ النَّظرِ عن تَقييمها، أو الموقف منها، وقد وقفتُ منها- في القديم- علىٰ أبياتٍ لِعَلَمِ الدِّين عليّ بن محمَّد بن عبد الصَّمد السَّخَاويّ المصريُّ (ت٦٤٣هـ) في منظومته: "هداية المرتاب، وغاية الحُفَّاظ والطُّلاب، في تبيين مُتشابه الكتاب"، المعروفة بمتن السَّخاويَّة في متشابه الآيات القرآنيَّة، حيث يقول[٢٣]:

وَقُلْ (وَلَمَّا) سِتَّةٌ فِي يُوسُفَا ... بِالوَاوِ، قَدْ حَقَّقَهَا مَنْ عَرَفَا
مِنْ بَعْدِهِ قُلْ: (بَلَغَ الأَشُدَّا) ... وَبَعْدَهُ (جَهَّزَهُمْ) مُبَدَّا
وَ(فَتَحُوا) مِنْ بَعْدِهِ، وَ(دَخَلُوا ... مِنْ حَيْثُ) لَمْ يَبْقَ عَلَيْكَ مُشْكِلُ
وَ(دَخَلُوا) أَيْضًا عَلَىٰ يُوسُفَ قُلْ ... فِي المَرَّةِ الأُولَىٰ، وَعَنْهُ لَا تَحُلْ
وَاقْرَأْ (وَلَمَّا) بَعْدَ هَذَا الخَامِسِ ... (فَصَلَتِ العِيرُ) تَفُزْ بِالسَّادِسِ

(٢٣) علي بن محمد السَّخاويَ، "هِداية المرتاب، وغاية الحُفَّاظ والطُّلاب، في تبيين مُتشابه الكتاب". تحقيق: عبد القادر الخطيب الحسنيّ. (ط١، دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دار الفكر، ١٩٩٤م). ص١٦٥-١٦٦.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أمَّا في العصر الحديث فمع انتشار المسابقات القرآنيَّة، وتنامي المنافسات حول حفظ المتشابهات، واختصاص كثيرٍ من حسابات مواقع التواصل الاجتماعي بجمع المتشابهات، وتفنُّنِ كثيرٍ من الشيوخ في وضع ضوابط لها، وجدنا سيلًا منهمرًا من الضوابط تزخر به مواقع التواصُل الاجتماعي، منها:

(١) قول الشيخ الدكتور أحمد سمير عوض، النَّحويّ المقرئ الضرير كما اعتاد أن يعرف بنفسه، حيث قال[٢٤]:

بَدَأْتُ بِحَمدِ اللهِ وَالشكرِ سَرمَدَا ... وَصَلَّيتُ تَعظِيمًا علىٰ خيرِ مَن هَدَىٰ
وبعدُ، فَخُذْ تَقْريبَ وَاوٍ وَفَائِهِ ... بِيُوسُفَ، حَتَّىٰ تَحْظَ بِالأَجْرِ وَالهُدَىٰ
فَقَدْ بَدَأَتْ بِالوَاوِ عِنْدَ أَشُدِّهِ ... وَتَجْهِيزِهِ لِلقَوْمِ بِالزَّادِ مُمْدِدَا
شَرِيطَةَ أَنْ يَأْتِي أَخُوكُمْ إِلَىٰ هُنَا ... وَإِلَّا مُنِعْتُمْ كُلَّ كَيْلٍ وَسُؤْدَدَا
وَثَالِثُهَا تَأْتِي بِفَتْحِ مَتَاعِهِمْ ... وَرَابِعُهَا أَمْرٌ مِنَ الأَبِ مُحْمَدَا
وَخَامِسُهَا تُتْلَىٰ بِإِيوَائِهِ أَخًا ... لَهُ قَائِلًا: إِنِّي أَخُوكَ مَجَدَّدَا
وَيَأْتِي خِتَامُ الوَاوِ مَعْ فَصْلِ غِيرِهِمْ ... سِوَاهُمْ بِحَرْفِ الفَاءِ، فَاقْرَأْ تَعَبُّدَا
وأزكىٰ صَلاةٍ مَعْ سَلَامٍ مُعَطَّرٍ ... لِمَنْ كَانَ قُرْآنًا يَسِيرُ لِيُرْشِدَا

(٢) قول الشيخ عبد العزيز عبد الحفيظ[٢٥]:

(وَأَوَّلُ الجَهَازِ) قُلْ (بِوَاوِ) ... (فَتْحُ المَتَاعِ) مِثْلُهُ، يَا رَاوِي

(٢٤) سمعتُ منه هذه الأبيات، وكتبتها عنه مباشرة، حيث إنَّه من تلاميذي، وقد عرضها عليَّ للنظر في استقامتها عروضيًّا.

(٢٥) الأسئلة الحسان في متشابهات القرآن، علىٰ الرابط (استُرجِعتْ بتاريخ ١٣/ ١٢/ ٢٠٢٥ م):
https://www.facebook.com/groups/209158441370104/posts/600784805540797

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

كَـذَا بُـلُـوغُ يُـوسُـفٍ أَشُـدَّهُ مَـنْ رَامَ ضَـبْطًا، فَـلْـيُـكَـرِّرْ وِرْدَهُ
و(أَوَّلُ الـدُّخُـولِ)، (لَـمَّـا فَصَـلَـتْ) وَمَـا سِـوَاهَـا قُـلْ (بِفَـاءٍ) حَصَـلَـتْ

لكنْ يؤخذ عليه أنَّه لم يلتزم الترتيب، كما اقتصر علىٰ خمسة مواضع فقط، وربما يعني بـ(أول الدخول) الموضعين اللذين وردا بالواو: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾.

(٣) قول الشيخ محمود نسيرة ضمن سلسلة: (تأمُّلات في المتشابهات) جامعًا المواضع السِّتَّة في بيت واحد، فقال[٢٦]:

(لَمَّـا بَلَغْ)، (بِـأَخٍ لَكُمْ)، (رُدَّتْ لَهُمْ) (مَا كَانَ يُغْنِي)، (تَبْتَئِسْ)، (رِيحًا يَشَمّْ)

(٤) قول بعضهم: في هذه الجمل المسجوعة، وإن كانت لا تَستقيم وزنًا، كما أنَّها لم تلتزم الترتيب: (ائتوني بأخيكم والبضاعة رُدَّتْ)، (أمرهم أبوهم، أوىٰ أخاه، وفَصَلَتْ)، (خمسةٌ بعد الحُزْنِ وَرَدَتْ)، (رموزها لمن وعىٰ: جفا دفت)[٢٧].

وهناك مَنْ يضبط المواضع حسب الأرباع، فيقول في الربع الأول كذا، ثم الثاني، والثالث، والرابع. وهناك مَنْ يضبطُها حسب مراحل القصة: مرحلة ما قبل الولاية علىٰ خزائن الأرض، ومرحلة ما بعد لقاء إخوته إلىٰ أن يأخذ أخاه، ومرحلة ما بعد أخذه أخاه حتىٰ لقائه أبويه.

---

(٢٦) ينظر: مجموعة الاستعداد لامتحان الأوقاف ٢٠٢٦م (استُرجِعتْ بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٥م):
https://www.facebook.com/groups/1136375276393810/posts/2738322762865712/

(٢٧) المصدر السابق.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وهذه المحاولاتُ جهودٌ مشكورةٌ لأصحابها، وتفيد الطالب في المسابقات، أو الإمام الذي يخشىٰ الخطأ والفتح عليه في الصَّلوات، لكنَّها- في تقديري- عديمة الجدوىٰ في مقام التدبُّر، بل كثيرًا ما تَصرِفُ القارئ عن تدبُّر المعاني، وهي الغايةُ التي حضَّنا الله عليها في غير آيةٍ، وحرصَ علىٰ الالتزام بها الصَّحابةُ والتَّابعون والعلماءُ الرَّاسخونَ، فالقرآن الكريم ليس مجردَ ألفاظٍ مقروءةٍ، ولا أنغامٍ مُشجيةٍ، يَطربُ النَّاسُ لِسماعها، ويُهلِّلونَ ويتصايحونَ- دون وعيٍ- لأداء القُرَّاء وبخاصَّة في المحافل ونحوها، إنَّما هو معانٍ تُتَدَبَّرُ، ورسائلُ من السَّماءِ لأهلِ الأرضِ تُوجِّهُ وتُبشِّرُ وتُنْذِرُ، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾، [النساء: ٨٢] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، [المؤمنون: ٦٨] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾، [ص: ٢٩] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وأنا أقارنُ حالي عندما كنت أقرأ سورة الرحمن مُستعينًا بذلك البيت الذي لا معنىٰ له، والذي يضمَّ الحرف الأول من الآية التالية لقوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ في المواضع الحادية والثلاثين التي وردت فيها الآية، وهذا البيت هو:

خِرْمِي وكيسِي يَفَّ فيهِ وَذفْ فَمُفَكِّهٌ ومُفَفِّفٌ حَلُمَتْ

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

فلا يكون العقل مشغولًا إلَّا بالبيت والحرف الذي يُمثِّل الآيةَ التاليةَ، بخلاف القراءة المتدبِّرة للمعاني، التي تُقارن مثلًا بين الجنتين الموعود بهما من خاف مقام ربه، والجنتين اللَّتين دونهما، وما بين الوَصْفين من فروقٍ بيانيَّةٍ مُعتبرةٍ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الرَّابع:
في رياض التَّحليل البلاغيِّ

ورد التعبيران (فلمَّا – ولـمَّا) في سورة يوسف تسعَ عشرةَ مرَّة، أولاها في الآية الخامسة عشرة، وأُخْراها في الآية التاسعة والتسعين، وهذه وقفاتٌ بيانيَّةٌ مع سياقِ كلِّ آيةٍ مِنْها؛ لبيان وجه المناسبة مع الفاء التي وردتْ في ثلاثة عشر موضعًا، ووجه الاتساق مع الواو التي وردتْ في ستة مواضع، وفقًا للقواعدِ الستَّة المشار إليها آنفًا.

الموضع الأول

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: ١٥].

هنا يمكن الاعتماد علىٰ القاعدة الأولىٰ: (قاعدةِ قِصَرِ المدَّةِ وطُولها)، والقول بأنَّ الفاء تدلُّ علىٰ قصر المدَّة بين إذن الأب لهم باصطحاب يوسف معهم، ومسارعتهم إلىٰ الانطلاق به، وكأنَّ الإخوة لما ظفروا ببُغْيَتِهم من أبيهم بعد إلحاحٍ، سارعوا إلىٰ الذهابِ به؛ لتنفيذ خطتهم الآثمة، ولعلَّهم خافوا من عُدُول أبيهم عن تلك الموافقةِ التي جاءتْ علىٰ مَضضٍ شديدٍ.

ولكنَّ الاقتصار علىٰ هذا الملمح فيه إهدار لكثيرٍ من معطيات السياق، ويقدح فيه قول أبي جعفر محمَّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): «وفي الكلامِ متروكٌ، حُذِف

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ذكرُه؛ اكتفاءً بما ظهَر عما تُرِك، وهو: فَأَرْسَلَه معهم»[٢٨]. وفحوىٰ الكلام أنَّ هناك جملة من الأفعال التي استغني عنها في السِّياق مثل: فتدبر أمره، ثم أذن لهم، ثم أرسله معهم، وهو ما يُبطئُ المدَّة.

والأمثلُ هنا أنْ نستحضِرَ القاعدتين الثانية: (قاعدةِ القَلقِ والتوتُّرِ في مُقابلِ الهُدوءِ والاسترخاءِ)، والخامسة: (قاعدةِ القَصدِ والتعمُّدِ في مُقابلِ التلقائيَّة الطبيعيَّةِ)، فالإخوة في حالة من التوتُّرِ والاضطرابِ النَّفْسِيِّ الشديد؛ لأنَّهم سينفذون جريمةً شنعاءَ، وعتاةُ المجرمين كثيرًا ما يعتريهم شيء من الاضطراب والضَّعف عندِ تنفيذِ جرائِمهم، فما بالك وهؤلاء أبناء نبيٍّ، ولهم نصيبٌ من استواء الفطرة، ثم هم يريدون قتل أخيهم الصغير البريء دونَ جُرْمٍ جناه؟! كما أنَّ فعلهم هذا مسبوقٌ بالقصدِ وتبييت النية، فليس فكرةً عابرةً، أو تَسلسلًا طبيعيًّا تجري به الوقائعُ. ولعلَّ تلك السرعة المصحوبة بالقلق والاضطراب هي السرُّ وراء حذف جواب الشرط، قال القشيريُّ (ت٤٦٥هـ): «الجوابُ فيه مُقدَّرٌ، ومعناه فلمَّا ذهبوا بيوسف، وعزموا علىٰ أنْ يُلقوه في البئر، فعلوا ما عزموا عليه»[٢٩].

(٢٨) محمد بن جرير الطبريّ، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبريّ)". تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي. (ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م). ١٣: ٢٩.

(٢٩) عبد الكريم بن هوازن القشيري، "لطائف الإشارات (تفسير القشيري)". تحقيق: إبراهيم البسيونيّ. (ط٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠٠م). ٢: ١٧٣.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الموضع الثاني

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف: ٢٢].

والواو هنا واضحةُ الدلالةِ علىٰ طول المدَّة بين استقراره في بيت العزيز وبلوغه الأشدّ، فقد كان عند بيعه غلامًا طريرًا، وهو الفتىٰ دون البلوغ، وقد تعدَّدتِ الرِّواياتُ في تحديد سنِّه عند بلوغِهِ الأشُدَّ ما بين الثامنة عشرة إلىٰ الثالثة والثلاثين[٣٠]، فتلك سنواتٌ طوالٌ، الله أعلمُ بِعَدَدِها، وقد أخفىٰ الله عددها؛ لأنَّه لا جدوىٰ من ذكر العدد في سياق القصَّة أو ترسيخ دروسها، فهو من قبيل العلم الذي لا ينفع، والجهل الذي لا يضرّ. كما أنَّ بلوغه مرحلة الأشدّ إنَّما جاء بطريقةٍ منطقيَّةٍ متوقَّعَةٍ، تنسجمُ مع تسلسُلِ الأحداث، والنموِّ الطبيعيِّ لذلك الغلام كسائر أقرانِه، فليس في الأمرِ مُفاجأةٌ أو نشازٌ.

الموضع الثالث

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [يوسف: ٢٨].

نحن هنا أمامَ حدثٍ جللٍ، كان المفتاحَ لنموِّ أحداث القصَّةِ، وتحوُّلها عن المسارِ الطَّبيعيِّ لِغلامٍ يَعيشُ في قصر العزيز إلىٰ سَجينٍ، ثم إلىٰ سيِّدٍ مُتحكِّمٍ في

(٣٠) الطبري، جامع البيان. ١٣: ٦٧-٦٨.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

خزائنِ البلادِ وأقواتِ العبادِ، وهنا يمكنُ أن تكونَ الفاءُ مُشيرةً إلىٰ قِصَرِ المدَّةِ، فما إنْ قدَّم الشاهدُ حُكْمَه حتَّىٰ رأىٰ القميصَ علىٰ وجه السُّرعة، فمثلُ هذا الأمرِ لا يَستغرقُ التحقُّقُ منه وقتًا عادةً، بل إنَّ معالجته علىٰ عَجَلٍ غايةٌ مُهمَّةٌ لذلك الشَّاهد، ولامرأة العزيز أيضًا؛ للتعتيم علىٰ الخبر قبل انتشاره. ومن الأمثلِ هنا أنْ نستحضرَ أيضًا القاعدتين الثانية: (قاعدةِ القَلقِ والتوتُّرِ في مُقابلِ الهُدوءِ والاسترخاءِ)، والرابعة: (قاعدةِ المفاجأةِ في مُقابلِ التَّوقُّعِ)، فالشاهد في حالةٍ من التوتُّرِ والاضطرابِ النَّفْسِيِّ؛ لأنَّه- في قرارةِ نفسِهِ- يريدُ تَبرئةَ امرأةِ العَزيزِ؛ فهو مِنْ أهلها، كما أنَّه لم يكن يتوقَّعُ أنْ يكونَ أمرُ المراودةِ قد وقع منها؛ لمكانتها وسنِّها ومكان زوجها، فجاءت النتيجة- وفقًا لحكمه- صادمةً له، مخالفةً لتوقُّعِه، وكأنَّ هذه الفاء تعكسُ وجيفَ قلبه، وصَدْمَتَهُ من مَشْهَدِ القَميصِ.

الموضعان الرابع والخامس

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

في هذه الآية تكررت (فَلَمَّا) مرَّتيْنِ:

المرَّة الأولىٰ: في وصف ردَّة فعل امرأة العزيز، وواضحٌ أنَّ الأمرَ جَلَلٌ لا يحتملُ التَّأخيرَ، فقد سمعتْ سريعًا بما تلوكُهُ ألسنةُ هؤلاءِ النِّسوة؛ حيث إنَّ الملوكَ- ومَنْ يَدورُ في فَلَكِهم- يَستعينونَ عَادةً بالعيونِ السَّاهرةِ التي ترصدُ دبيبَ النَّملة السَّوداء،

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

تحت الصَّخرة الصمَّاء، في اللَّيلة الظَّلْماء، فثمَّةَ مُدَّةٌ قَصيرةٌ بين سماعِها الخبرَ واتخاذِها القَرارَ التاليَ. ولا ننسىٰ ما كانتْ فيه امرأةُ العزيزِ من توتُّرٍ واضطرابٍ نفسيٍّ لا يوصَفُ، وحسبُكَ بالخوفِ من الفضيحةِ في مثل هذا الأمرِ الجَلَلِ محذورًا يغتالُ مكانَتها، بل يُهدِّدُ حياتَها، والحدث وما تلاه من تداعيات تمَّتْ جميعًا بقصدٍ وتبييتِ للنيَّةِ، وتدبير محكمٍ، فليس ثمَّةَ مجالٌ للخطأ أو المصادَفَةِ.

والمرَّة الثانيةُ: كانت في ردَّة فعل النِّسوة بمجرد رؤيتهنَّ يوسف عليه السلام، إنَّها ردَّةُ فعلٍ لا شعوريَّةٍ، تمَّتْ بصورةٍ فُجائيَّةٍ، فهي أشبهُ ما تكونُ بصعقةٍ كهربائيَّةٍ من أحد أسلاكِ الضَّغطِ العالي، والتي تقضِي علىٰ المصعوق في ثانيةٍ أو ثوانٍ معدودةٍ. وفي الوقت نفسه كان ذلك الفعلُ كاسرًا لأُفُقِ التَّوقُّعِ من جميع الحاضرين، وأولهنَّ أولئك النِّسوة، اللائي اطلعنَّ علىٰ منظرٍ جماليٍّ مُسافرٍ وراء الخيال في أقطارٍ بعيدةٍ من الحسنِ الباهر، الذي يرتدُّ عنه قلمُ الوصفِ خاسئًا وهو حَسيرٌ.

الموضع السادس

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف: ٥٠].

جاء هذا المشهدُ- بعد بضعِ سِنينَ قضاها يوسف عليه السلام في السِّجنِ ظُلمًا، وبعد سنواتٍ من الهُدوءِ الذي يَسبقُ العاصفةَ- ليُلقيَ حجرًا يحرِّكُ المياهَ الرَّاكدةَ، فتسارعت الأحداثُ بصورةٍ لافتةٍ، كانت حجر الزاوية في انتقال يوسف عليه السلام من غياهبِ السِّجن إلىٰ سدَّة الحكم، وهنا كانت ردَّةُ فعلِهِ علىٰ استدعاءِ الملك سريعةً

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مُفاجئةً صارمةً دون تلبُّثٍ أو تفكيرٍ، فالبراءة بالنسبةِ له مُقدَّمة علىٰ خروجه من السِّجنِ، وهنا نلوذ بالقاعدة السَّادسة: (قاعدةِ الشِّدَّةِ والصَّرامةِ في مُقابلِ الالتماسِ والرَّجاءِ)، حيث جاء ردُّه مُقترنًا بالشِّدَّةِ والصَّرامةِ التامَّة؛ لأنَّه ليس مُستعدًّا علىٰ الإطلاق لقبولِ حلٍّ وسطٍ في أمرٍ يمسُّ دينَهُ وعِرْضَهُ، وكأنَّ الحريَّة التي طالما تاق إليها، وطالما عانىٰ من فقدها لا تعدلُ عنده شيئًا في مقابل إظهار براءته؛ ولذا قدَّر النبيُّ ﷺ صلابةَ أخيه يوسف عليه السلام في هذا المقام، وقدَّمه علىٰ نفسه؛ تواضعًا منه ﷺ، فقال: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»[٣١].

الموضع السابع

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف: ٥٤].

هنا أيضًا كان قرارُ الملكِ سريعًا مُفاجئًا صارمًا، فقد بادر إليه الملكُ دُونَ تَرَيُّثٍ؛ لِما وجدهُ في وجهه من سيماءِ المهابة والقبول، وفي شخصِه من أمارات النُّبْلِ والحكمة، وفي منطقه من مخايلِ الحَصافةِ والذَّكاء، وربما كان صادمًا وكاسرًا لتوقُّعات كثيرٍ من المقرَّبين من الملك، الذين كانوا يَستكثرونَ أنْ يخرجَ شَخصٌ من غياباتِ السِّجن؛ وفي لمحِ البصرِ يصلُ إلىٰ هذه المكانةِ العاليةِ التي طالما كانوا

(٣١) محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". تحقيق: مصطفىٰ ديب البغا. كتاب الأنبياء، بَاب: قوله ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾، حديث رقم (٣١٩٢). (ط٥، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م). ٣: ١٢٣٣.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

يحلمون بها، ويخطِّطون للوصول إليها، ولم يَدُرْ بخَلَدِ أحدِهم يومًا أنْ يكونَ هذا السجينُ مُقدَّمًا عليهم، بل ربَّما كان كاسرًا لتوقُّعات يوسف عليه السلام نفسِه، الذي يرىٰ من الأيامِ الحبالىٰ بالعجائبِ ما يُقرِّبُه من تحقُّقِ رؤياهُ المذكورةُ في مطلع السورة، ولكنَّ أنوارَ النُّبوَّةِ المذخورةِ قد ألقتْ عليه من المهابةِ والجلالِ ما أخذَ قلبَ الملكِ وعقلَهُ، فأيقن أنَّ مِثْلَه لا يُفرَّطُ فيه، ولا يسمح له بالانتقال عن بلدٍ هي في أمسِّ الحاجة إليه، فلا جرم أن يؤكِّد خطابه، وأنْ يومئَ إلىٰ عظمة مكانته، وأن يشير إلىٰ أهم مسوِّغات تعيينه وهي الأمانة، بل أن يستجيب فورًا لطلبه المذكور في الآية اللاحقة.

الموضع الثامن

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف: ٥٩].

وردَ التعبيرُ عن تجهيزِ الإخوةِ بجهازهم في السُّورةِ مرتين: أولاهما بالواو، والثانية بالفاء، والفرقُ بينهما يَكشفُ عن وجهٍ من وجوهِ الإعجازِ البلاغيِّ للقرآن الكريم، ويدحضُ القولَ بأنَّ التعبير بالواو يكونُ فقط عند طول المدَّة، وبالفاء يكون عند قِصَرِها فحسبُ.

وهذا هو الموضع الأوَّل وقد جاء بالواو؛ لأنَّه أخذ كثيرًا من الوقت، فقد أراد يوسفُ عليه السلام أنْ يُعِدَّ لهم جَهازهم علىٰ الوجهِ المرضيّ بِطُمَأنينةٍ مُطْلَقةٍ دون عَجلةٍ، وأنْ يَبدوَ المشهدُ طبيعيًّا يتَّسِمُ بالسَّلاسة والهُدوء؛ حتَّىٰ يُبعدَ عن أذهانِ الإخوة ما

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

قد يَريبهم، بل أنْ يُبالغَ في إكرامِهم، حتىٰ يجيبوا طلبه اللاحق بإحضار أخيهم، وهو يعلم مدىٰ صعوبته، وفي تفسير الكشَّاف أشار الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ) إلىٰ وجود جمل محذوفة، حيث قال: «لا بُدَّ من مقدمة سبقتْ له معهم، حتَّىٰ اجترَّ القولُ هذه المسألة»[٣٢]، ثم ساق بعض الأخبار الإسرائيليَّة الدَّالَّة علىٰ مسامرة طويلة بينهم، سألهم فيها عن شئونهم، وعن أبيهم، وعن عدد إخوتهم؛ إذ كان يراعىٰ في الميرة عدد الممتارين، وهو ما يدلُّ علىٰ أنَّ الأمور كانت وديَّةً إلىٰ أبعد مدىٰ، فليس ثمة ما يدعو إلىٰ العجلة، أو يحملُ علىٰ القلق.

وتتناغمُ الواوُ مع القاعدةِ السَّادسةِ: (قاعدةِ الشِّدَّةِ والصَّرامةِ في مُقابلِ الالتماسِ والرَّجاءِ)، فالطلبُ: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ جاء علىٰ وجه الالتماس، وأردفه باستفهامٍ تشويقيٍّ، مُفتتحٍ بألا التنبيهيَّة: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾؛ لينبِّههم إلىٰ إحسانه إليهم، ويُرغِّبهم في إجابة طلبه، وكلُّها سماتٌ تُضفِي علىٰ المشهدِ ظلالًا هادئةً لطيفةً، بعيدةً عن العجلةِ والتَّوتُّرِ.

الموضع التاسع

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٦٣].

---

(٣٢) محمود بن عمر الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل". (وبهامشه أربعة كتب). تحقيق: مصطفىٰ حسين أحمد. (ط٣، القاهرة: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي ببيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م). ٢: ٤٨٤.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

في هذا الموضع رجع إخوةُ يُوسف إلىٰ أبيهم، وهم يحملون أسفًا وحزنًا يُقطِّعُ نِياطَ القُلوبِ، وطلبًا بعيدَ المرام، وهمًّا نفىٰ عنهم في رحلتهم طيبَ المنام، فأمَّا الأسف والحزنُ فهو علىٰ فواتِ ميرتهم؛ إذ كانوا يظنُّون أنَّهم عادوا صِفر اليدين؛ لأنَّ يُوسف عليه السلام أمر فتيانه أن يضعوا بضاعتهم في رحالهم سرًّا، وأمَّا الطلبُ فهو إحضار أخيهم، وهم يعلمون مدىٰ صعوبة هذا الطلب من أبيهم، وبخاصة أنَّ ذاكرتهم كانت تستدعىٰ يقينًا جريمتهم الماضية بإلقائهم يوسف في الجبِّ، وأمَّا الهمُّ فهو أنَّ حياتهم موقوفة علىٰ تنفيذ هذا المطلب؛ لأنَّ يوسف عليه السلام قد هدَّدهم بمنع الكيل عنهم تمامًا، قائلًا: ﴿**فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ** ﴿٦٠﴾﴾، فكانوا طوالَ الطريقِ يُفكِّرونَ في طريقةِ مُخاطبةِ أبيهم، ويُبدؤون النظر ويُعيدونه في مآلاتِ الأمورِ إنْ لم يُجِبْهم أبوهم، ولعلَّهم أسرعوا في طريقهم؛ استثمارًا للوقتِ مع القحط، وحرمانهم من الكيل في اعتقادهم، والفاءُ تُصوِّرُ سُرعةَ السَّير في رحلةِ العَوْدَةِ، ولكنَّها تُصوِّرُ أكثرَ حالةَ القلقِ والتوتُّرِ والاضطرابِ النَّفْسِيِّ، فهي أمسُّ رحمًا بتصويرِ سُرعةِ دقَّاتِ القُلوبِ خوفًا وقلقًا، وبمجرد وصولهم ديارهم صدعوا إلىٰ أبيهم بهذا المطلب الغَريبِ المُريبِ.

وقد فطن د. أحمد نوفل إلىٰ هذا الملمح البلاغيّ في المشهد برمَّته، فقال: «لاحظِ الصِّيغةَ كيف جاءتْ باتَّةً قاطعةً، مُنِعَ مِنَّا الكيلُ، ولم يخرجوا الكلام بصورةِ جوابِ شرطٍ متأخِّرٍ مَثلًا: إنْ لم تُرسِلْ معنا أخانا فسيمنع منا الكيلُ بعد هذه المرة. إنَّ الكلام الأخير يدلُّ علىٰ نفس هادئةٍ، تنقل قضيَّتها في بحبوحةٍ وسعةٍ، ولكنَّ كلام

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

القرآن يصوِّرُ نفوسًا حرَّىٰ تتلظَّىٰ بين نارين، نار عدم القدرة علىٰ العودة إلىٰ مصر إلَّا بأخيهم، ونار نبش الماضي بطلب أخيهم من والدهم. أرأيتَ كيف نقل لك القرآن الكريم العالم النفسيَّ في كلمات؟»[٣٣].

الموضع العاشر

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾ [يوسف: ٦٥].

في هذا المشهد، وصل إخوة يوسف إلىٰ أبيهم، وصدعوا له بالمطلب الذي كان يُنقِضُ ظُهورَهم، فأفرغوا شحنةَ الهمِّ بتلك الكلمات، في حوارهم القصير مع أبيهم المذكور في الموضع السابق، ولا بدَّ أنَّهم في حاجةٍ إلىٰ الاستراحةِ من وَعْثاءِ السَّفرِ من مصرَ إلىٰ فلسطينَ، وبخاصَّةٍ أنَّه سفرٌ اقترنتْ به سرعةٌ حِسِّيَّةٌ في السَّير، وقلقٌ نفسيٌّ شديدٌ كما مرَّ آنفًا، وبعد تلك الاستراحة، والخلاص المؤقَّتِ من همِّ ذلك المطلبِ البعيدِ المنالِ فتحوا متاعهم، فكانت الواو هنا تعكسُ طول المدَّة من ناحيةٍ بعد تلك الاستراحة، كما تعكسُ حالة الهدوء والاسترخاء بعد الخلاص من همِّ المطلبِ الذي صدعوا به إلىٰ أبيهم، ولكنَّ القصَّة ما زالتْ تحملُ الكثير من المفاجآت، حيثُ وجدوا بضاعتهم، فطاروا بها فرحًا، وهو ما تصوِّره كلماتُهم لـمَّا

(٣٣) أحمد نوفل، "سورة يوسف دراسة تحليلية"، ص٤٦٩.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وجدوا بضاعتهم بعد الإياس، وهي كلماتٌ تدلُّ علىٰ تمامِ الرضا والسرور، وتضفي علىٰ المشهد ظلالًا من الهُدوءِ والطُّمأنينةِ.

الموضع الحادي عشر

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٦].

هذا المشهدُ ابتدأه سيدُنا يعقوبُ عليه السلام برفضٍ قاطعٍ لطلبهم، ذلك الطلبُ الذي نكأ جُرحَه القَديم، وأعاد إليه طيفَ يُوسفَ الذي لم يبرحْ مخيلته، لكنَّه تذكَّرَ مَسألةَ تَعليقِ الحصولِ علىٰ الميرةِ علىٰ اصطحابِ الإخوةِ أخاهم، فكأنَّ حياةَ الأسرةِ كلِّها مُعلَّقةٌ بذلك المطلبِ الغريبِ، فعلَّقَ إجابته علىٰ شرطٍ وهو أنْ يعطوه موثقًا من الله علىٰ بذلِ الوُسْعِ في حِفظِه والعودةِ به، لكنَّه- وهو النبيُّ المعصوم- استثنىٰ ما لا قِبَلَ لهمْ به مِنَ الإحاطةِ بهم بالأسْرِ ونحوه، وهنا يعود المشهدُ إلىٰ التوتُّرِ والسُّرعةِ؛ فَبمجرَّدِ أنْ أعْطَوْهُ مَوْثِقَهمْ، سارعَ يعقوبُ عليه السلام إلىٰ التَّفويضِ قائلًا: اللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، فالسُّرعَةُ هنا ليستْ في إعطاءِ الموثِقِ، وإنَّما في ردِّ يعقوبَ عليه السلام، الذي يتضمَّنُ تذكيرًا لهم بالله، وهو دَيْدَنُ الأنبياء والصالحين، لعلَّهم يثوبون إلىٰ رُشدهم، ويفتحون صفحةً جديدةً في مراقبةِ ربِّهم. ولا يخفىٰ ما في المشهد كلِّهِ من توتُّرٍ، فالإخوةُ يترقَّبون قرارَ الأبِ، والأبُ بين داعي المنع خوفًا علىٰ الابن من مصير يوسف، وداعي الإجابة إنقاذًا لحياة الأسرة بالميرة، وهي ظلالٌ تتناسبُ مع الفاء دون غيرها.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الموضع الثاني عشر

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ [يوسف: ٦٨].

يبدأ هذا المشهدُ بظلالٍ هادئةٍ مِلْؤُها الرِّضا والتَّسليم، حيث امتثلَ إخوةُ يوسفَ لأمر أبيهم، إذ طلبَ منهم أنْ يدخلوا من أبوابٍ مُتفرقةٍ دون أن يبيِّن لهم العلَّة؛ إشفاقًا عليهم من إصابةِ عينِ حاسدٍ، أو تربُّصِ عدوٍّ من قُطَّاعِ الطَّريقِ ونحو ذلك(٣٤)، ولا شكَّ أنَّ ثمَّةَ مدَّةً طويلةً استغرقتها المسافةُ من فلسطين إلىٰ مصر، وهو ما يستدعي التَّعبير بـ (وَلَمَّا)، كما أنَّ إعطاءَهم أباهم الموْثِقَ من الله في الموضعِ السَّابقِ، وامتثالَهم لهذا الأمر الذي لا يعرفون حكمته غالبًا مُشعرٌ بأنَّ الأمورَ تَسيرُ بسلاسةٍ وهدوءٍ، وأن الأحداثَ التاليةَ ستجري بطريقةٍ منطقيَّةٍ متوقَّعَةٍ، فليس في المشهدِ ما يَستدعي الفاء من توتُّرٍ أو انقباضٍ، أو ما يُنْذِرُ بمفاجآتٍ غيرِ متوقَّعةٍ.

الموضع الثالث عشر

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ [يوسف: ٦٩].

(٣٤) ينظر: علي بن أحمد ابن حزم. "الفِصَل في الملل والأهواء والنحل". (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت). ٤: ٤.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

كان الدُّخولُ في الآيةِ السَّابقةِ مُباشرةً من أبوابِ مصرَ الأربعةِ، التي لا نعرفُ مكانَها تحديدًا، وربَّما كانتْ بعدَ العريشِ مُباشرةً؛ حيث إنَّها بوابةُ مصرَ من النَّاحية الشَّرقيَّة، أو عند مدينة (الفَرْما) التي اندثرت الآن علىٰ الطريق بين العريش والقنطرة، كما قال كثيرٌ من المفسِّرين[٣٥]، أمَّا هذا الدخول فهو علىٰ يوسف عليه السلام مباشرةً في قصره، أو في موضع توزيعه للميرة، وتلك مسافةٌ طويلةٌ تَستغرقُ مُدَّةً غيرَ قليلةٍ، وهو ما يقتضي التعبيرَ بالواوِ.

ولقائلٍ أنْ يقول: إنَّ أمرَ احتجازِ الأخِ محفوفٌ بالقصدِ وتبييت النيَّةِ، وهو ما يقتضي التعبير بالفاءِ، وَفقًا للقاعدةِ الخامسةِ: (قاعدةِ القَصدِ والتعمُّدِ في مُقابلِ التلقائيَّة الطبيعيَّةِ)، فأقول: إنَّ استخدام الواو في هذا المشهدِ يُشْعِرُ بأنَّ الأمورَ تبدو طبيعيَّةً، أو هكذا يُرادُ لها أنْ تبدوَ، فعمليَّةُ احتجاز الأخ الصغير لا بدَّ من أنْ تتمَّ باحترافيَّة تامَّةٍ، فلا توتُّرَ ولا اضطرابَ؛ ممَّا قد يريبُ الإخوةَ، وقد يؤثِّر علىٰ نجاح المهمَّة، ولذا سارَّ يوسفُ أخاه بالصِّلةِ التي بينهما؛ لِيُشعِرَهُ بالأُنْسِ والرَّاحة، وليزرعَ الطُّمأنينةِ في قلبه، فلا يحدثُ أيُّ كدرٍ يؤثِّرُ في سلاسةِ الأحداثِ، وهُدوءِ المشهدِ، وربَّما يُؤدِّي إلىٰ انكشافِ الحِيلةِ برمَّتها.

ولعلَّ هذه التَّعميةَ المتعمَّدة هي السَّبب وراء التنكير في قوله: ﴿بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، حتَّىٰ لا ينكشفَ أمره، فيعرفونه في هذه المرحلة التي لـمَّا تصلْ فيها

(٣٥) ينظر: منصور بن محمد السمعاني، "تفسير القرآن". تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس. (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م). ٣: ٤٨.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

العُقدةُ ذِرْوَتَها، يقول أبو حيَّان الأندلسيُّ (ت٧٥٤هـ): «وَتَنكَّرَ أَخٌ، وَلَمْ يَقُلْ بِأَخِيكُمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَرَّفَهُ وعرفهم؛ مُبَالَغَةً فِي كَوْنِهِ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ لَهُمْ، وَلَا أَنَّهُ يُدْرِي مَنْ هُوَ. أَلَا تَرَىٰ فَرْقًا بَيْنَ مَرَرْتُ بِغُلَامِكَ، وَمَرَرْتُ بِغُلَامٍ لَكَ؟ إِنَّكَ فِي التَّعْرِيفِ تَكُونُ عَارِفًا بِالْغُلَامِ، وَفِي التَّنْكِيرِ أَنْتَ جَاهِلٌ بِهِ. فَالتَّعْرِيفُ يُفِيدُ فَرْعَ عَهْدٍ فِي الْغُلَامِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمُخَاطَبِ، وَالتَّنْكِيرُ لَا عَهْدَ فِيهِ الْبَتَّةَ»[٣٦].

الموضع الرابع عشر

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف: ٧٠].

هذا هو المشهدُ الثاني للتَّجهيز، وقد رأينا أنَّ المشهد الأول اقتضىٰ التعبير بالواو؛ لما فيه من هدوءٍ وتريُّثٍ وتوفيةٍ للكيل؛ زَرعًا للطُّمأنينة في نفوسهم، وتأليفًا لقلوبهم حتَّىٰ يُجيبوا طلبه، أمَّا هذا المشهد فهو مختلفٌ تمامًا، إنَّنا أمام مشهدِ دسِّ السِّقايةِ أوْ صُواعِ الملك- وهما شيءٌ واحدٌ علىٰ ما يبدو كما قال الإمام مُجاهد بن جَبر (ت١٠٤هـ) وغيره من المفسِّرين[٣٧] - في رحلِ الأخِ، وهو ما يقتضي خفَّةَ اليد؛ لتنفيذِ العمليَّةِ بسرعةٍ خاطفةٍ، حتَّىٰ لا ينكشف الأمرُ؛ مما قد يفسد المهمَّة بالكليَّةِ، وهو ما يتناغم مع القاعدة الثالثة التي تقرر أنَّ أداءَ العمل مُسارقةً ومخالسةً يقتضي

(٣٦) محمد بن يوسف أبو حيَّان، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي العطَّار، وزهير جعيد، وعرفان العشا حسُّونة. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م). ٦: ٢٩٣.

(٣٧) الطبري، جامع البيان. ١٣: ٢٤٥.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

التعبير بالفاء، ولا شكَّ أنَّ التوتُّرَ والاضطرابَ هما سيِّدا الموقفِ في هذا المشهد، الذي أراد به يوسف عليه السلام «أنْ يخضِّدَ شوكَتَهُم، ويفتَّ في عَضُدِهم؛ تنزيلًا لنفوسهم المتكبِّرة، وإضعافًا لقوتهم المتحكِّمة، فأتىٰ هذه الحيلةَ المزعزعةَ لأفكارهم، إذ يوسف كان لا يزال في تخوف من شرِّ إخوته ونزقهم، فرأىٰ أن يعملَ معهم عملًا يُخففُ جانبًا من قوتهم، ويُشذِّبُ بعضًا من حماسهم، ويُطامنُ من نخْوتهم، ويكسرُ من زَهْوِهم، ويَقمعُ مِنْ طُغْيانهم تهذيبًا وترويضًا، فهو فعل ذلك اضطرارًا لا اختيارًا»[٣٨].

الموضع الخامس عشر

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِى فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

يُمثِّلُ هذا المشهدُ ذِروةَ العُقدةِ في القصَّة، فالأحداثُ تَتسارعُ بصورةٍ دراميَّةٍ، والتوتُّر والاضطرابُ وتوقُّعُ المفاجآتِ تُضْفِي ظِلالًا مُثيرةً علىٰ المشهدِ؛ حيثُ إنَّ الإخوةَ يُنْكِرونَ السَّرِقَةَ، وهم صادقونَ هذه المرَّة، لكنَّ الدَّليلَ الماديَّ ليس في صالحهم، وقد بذلوا جُهودًا مُضنيةً- يُصوِّرها التعبيرُ بجملة ﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ الدَّالَّةِ علىٰ شِدَّةِ اليَأْسِ واستحكامِه- في سبيلِ تقديمِ أحدِهم مكانَ الأخِ الصَّغير؛ حفاظًا

(٣٨) عبد الله العلميّ، "مؤتمر سورة يوسف". تقديم العلامة محمد بهجة البيطار. (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م). ٢: ١٠٠٨-١٠٠٩.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

علىٰ مَوْثقهم مع أبيهم الشَّيخِ الكبيرِ، بل حفاظًا علىٰ حياته التي يُهدِّدها سماعُ هذا الخبرِ، فقُوبِلَ طلبُهم بالرَّفضِ، وكلُّها أمورٌ لا يَتناسبُ معها إلَّا التَّعبير بالفاء، وكلُّ الجُمَلِ الواقعةِ في جواب (لـمَّا) تتناغم مع هذا الجوِّ الحافلِ بالإثارةِ، مِنْ تَناجِيهم حولَ طَريقةِ التَّصرُّفِ إزاءَ هذا الموقفِ الخطيرِ، وتقريعِ أخيهم الكبير لهم، ونكأ الجُرحِ القديمِ بشأنِ التَّفريطِ في يوسف من قبل، ثمَّ إصراره علىٰ البقاءِ في مصرَ حتَّىٰ يأذنَ له أبوه، أو يحكمَ الله له.

الموضع السادس عشر

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾ [يوسف: ٨٨].

جاء هذا المشهدُ بعد أنْ عادَ إخوةُ يوسفَ إلىٰ أبيهم دون أخيهم الصَّغيرِ، فَوقعَ خبرُ احتجازِ ابنِه عليه موقعَ الصَّاعقة، فابيضَّتْ عيناه من الحزنِ علىٰ فقد ولديْهِ، وأنهكه الأَسىٰ حتَّىٰ صار حَرَضًا دَنِفًا مُشْرِفًا علىٰ الهلاكِ، وبعد حوارٍ مِلْؤُهُ الحسرةُ والأسىٰ استجابوا لأبيهم مرَّةً ثانيةً بالذَّهابِ إلىٰ مِصرَ تُحسُّسًا لِيُوسُفَ وأخيه، فجاءَ الإخوةُ يُجرجِرونَ أقدامَهم مِنْ وَطأةِ الأحزانِ، ويَبتلعونَ رِيقَهم بجهدٍ جَهيدٍ من غُصَصِ الهُمومِ، وهُنَا تَطْوي السُّورةَ كَثيرًا من تفاصيلِ الأحداثِ التي تمَّتْ في الطَّريقِ؛ لأنَّها ليستْ ذاتَ بالٍ في تصويرِ الحَدَثِ، بلْ ذِكْرها يُبْطِئ من إيقاعِ المشهدِ في لحظاتٍ شديدةِ السُّرعَةِ والتَّوتُّرِ، وهنا يَدْخُلُ الإخوةُ علىٰ يُوسفَ دُخولًا مُختلفًا

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

عن الدُّخولِ الأوَّلِ، فَهُمْ في هَذِهِ المرَّةِ مَشْحُونونَ بما يفوقُ الوَصْفَ من الأسفِ الممضِّ علىٰ الماضِي الكئيبِ، ومن الرَّهبةِ والخوفِ من المستقبلِ القريبِ، ولا شكَّ أنَّ مَشاهدَ فقدِ الأَخَوَيْنِ كانتْ تقضُّ مَضاجِعهمْ طِيلةَ الرَّحلةِ، وتَنْفِي عنْ أعيُنِهم طِيبَ الرُّقادِ، وهو بعضُ ما عبَّرتْ عنه تلكَ الجُملةُ الفريدةُ: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾، ومن البدهيِّ أنَّ مشهدًا مَشحونًا بهذا الشَّجنِ العَاطفيِّ الرَّهيب، ومَحفوفًا بهذهِ الظِّلالِ المأساويَّة، لا يُناسِبُه إلَّا التَّعبيرُ بالفاءِ، التي تحكِي وجيفَ القُلوبِ حُزنًا علىٰ الماضي تارةً، وخوفًا من المستقبلِ تارةً أُخرىٰ.

الموضع السابع عشر

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾

[يوسف: ٩٠].

نَصِلُ إلىٰ هذا المشهدِ وقدْ وصلتِ النُّفوسُ إلىٰ دَرجةٍ عاليةٍ من الطُّمأنينةِ، جَسَّدَتْها هذه البِشارةُ المُزلزِلَةِ: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾، وهي- علىٰ قدر ما فيها من فُجَاءَةٍ مُبَاغِتَةٍ- قد ملأتْ قلوبَهم سكينةً، وأزاحتْ عنهم جِبالَ الأحزان التي كانتْ تُنقضُ ظُهورَهم، فهي المرَّةُ الثَّالثةُ التي يَعودونَ فيها من مِصرَ، لكنَّها المرَّة الوحيدةُ التي يحملون فيها بُشْرىٰ تَفوقُ التَّصوُّرَ والوصفَ. لقدْ اقتربنا من لحظةِ التَّنويرِ، فزالَ الحزنُ والنَّدمُ بِلقاءِ الأخوَيْنِ سالـمَيْنِ، وحلَّ محلَّهما الفرحُ والاغتباطُ بصيرورةِ أحدِهما علىٰ خزائنِ الأرضِ، كما زالَ الخوفُ من المستقبلِ، بل اطمأنَّ الإخوةُ علىٰ أبيهم بهذه البِشارةِ التي لم تُبْقِ في نفوسِهمْ شيئًا

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

يُعكِّرُ صَفْوَها: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾، فعادوا من مصرَ إلىٰ الشَّامِ آمنينَ مُطمئنينَ، فَشتَّان شتَّان ما بين مجيئهم إلىٰ مصرَ في غايةِ القلقِ والاضطرابِ كما المشهدِ السَّابقِ، وصُدورهمْ عنها في غايةِ الهدوءِ والاستقرارِ النَّفسيِّ في هذا المشهد، وهو ما يَستلزمُ التَّعبيرَ بالواوِ، الَّتي تَتناغَمُ مع الوقتِ الطَّويلِ الذي قَضَتْهُ العِيرُ بهم طِيلةَ الطَّريقِ، ومع حالةِ الهُدوءِ والاستقرارِ التي نَسجتْ علىٰ المشهدِ ظلالًا وارفةً من السَّكينةِ.

الموضع الثامن عشر

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٦].

هنا تقتربُ القصَّةُ من النِّهايةِ سائرةً بخُطًا حثيثةٍ، حاملةً مفاجآتٍ سارَّةً، حيثُ شَمَّ الأبُ الوُامِقُ رِيحَ يُوسفَ من قَمِيصِهِ الذي حملوه، ولـمَّا يُظْهِروهُ بعدُ، أتُراهُ وَحيًا، أم إلهامًا، أم فراسةً؟ وهل وجد الرِّيحَ من مسافةٍ قريبةٍ أم من مسيرةِ ثماني ليالٍ كما قال بعض المفسِّرين[٣٩]؟ وقد تَوتَّر المشهدُ كثيرًا بهذهِ الكلماتِ الجافيةِ التي اتَّهم فيها الأبناءُ أباهُمْ بالضَّلالِ القَديمِ، فلمَّا أظهروا القميصَ سارعَ الأبُ الشَّغوفُ إلىٰ إلقائه علىٰ وجهِهِ، وكأنِّي به ينهضُ- علىٰ كِبَرِهِ وعَمَاهُ- لِيَتخطَّفَهُ مِنْ بينِ أيديهم، فلمْ يَنتظِرْ أنْ يُلقوه علىٰ وَجهه- كما أوصاهمْ أخوهم يوسفُ- بل سارعْ هو إلىٰ

(٣٩) الطبري، جامع البيان. ١٣: ٣٣٣.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

إلقائِهِ علىٰ وجهِهِ، وكأنِّي به يعتنِقُهُ طويلًا كما لو كان قِطعةً من وَلَدِهِ الحبيبِ، البعيدِ القريبِ، فكانت المفاجأةُ المذهِلَةُ بعودةِ البصرِ إليه، ولا شكَّ أنَّها نقطةٌ مِفْصليَّةٌ في القصَّةِ، تحملُ مقدارًا هائلًا من الشَّحْنِ العاطفيِّ، ومن المفاجآتِ غيرِ المتوقَّعَةِ، بل المخالفةِ التامَّةِ للعادةِ، ومهما اجتهد المفسِّرونَ والمحلِّلونَ قَديمًا وحديثًا في اسْتِكْنَاهِ الطَّريقةِ التي وَجَد بها الأبُ ريحَ ابنِه التي لم يذهلْ عنها، وإنْ طالتْ مَدَّة الانتظار وشطَّ المزار، أو الطَّريقةِ الَّتي عادَ بها البصرُ إليه، فإنَّ الأمرَ يبقَىٰ في دائرةِ الغَيْبِ، ويَبْقَىٰ حاملًا كلَّ صُورِ الإثارةِ والمفاجأةِ، وكلُّها معانٍ لا يُناسِبُها إلَّا الفاءِ.

الموضع التاسع عشر

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ [يوسف: ٩٩].

هذا هو مشهدُ النَّهايةِ، مشهدُ اللِّقاءِ والسُّجودِ، ومقامُ تحقُّقِ الرُّؤيا المذكورةِ في مطلعِ السُّورةِ، إنَّها صورةٌ حيَّةٌ فريدةٌ يَلتئِمُ فيها الشَّمْلُ بالعناقِ بعدَ طُولِ فِراق، وتنسجُ خيوطَها عَبَراتُ اللَّهفةِ وخفقاتُ الاشتياق، لقد كانَ يعقوبُ الشيخُ وزوجُهُ العجوزُ يتمنَّيانِ أنْ يَستقِلَّا بساطَ الرِّيحِ لو يستطيعانِ إليه سبيلًا، وكانا يَرومانِ قَطْعَ المسافةِ من فلسطينَ إلىٰ مصرَ في لمحِ البصرِ أو هو أقربُ، وكانا يُريدانِ مساعدةَ مَنْ عِنْدَهُ علمٌ من الكتابِ لِيحمِلَهُما إلىٰ مصرَ قبلَ أنْ يرتدَّ إليهما طرفُهما، كانَ القلبانِ في وجيبٍ تُسمَعُ دقَّاتُهُ من بعيدٍ، وكانَ شريطُ ذِكرياتهما مع ذلكَ الغلامِ الطَّريرِ الذي

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

حِيلَ بينهما وبينه لسنواتٍ طِوالٍ يمرُّ في خاطِرِهما فيزدادانِ تلهُّفًا واشتياقًا، وكانَ تصوُّرهما لما هو عليه الآن يَزيدُهما تَساؤُلًا وحَيْرةً.

إنَّ المسافةَ المقطوعةَ واحدةٌ، وهي التي عُبِّرَ عَنْها بالواوِ في غيرِ مَوْضِعٍ، ولكنَّ الشُّعورَ مختلِفٌ كلَّ الاختلافِ، فشتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَمْشِي هادئًا رَخِيَّ البال، ومن يمشي شغوفًا ملهوفًا، وشتَّانَ بينَ مَنْ يقطعُ المسافةَ بقدمينِ تمشيانِ، ومَنْ يقطَعُها بقلبٍ ولهانَ، فلا جرمَ أنْ تُومِئَ الفاءُ هنا إلىٰ كلِّ هذه المعاني القلبيَّة، التي يُدركُها الجَنانُ، ولا يُعبِّرُ عنها اللِّسانُ.

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الخاتمة

بعد هذه الجولةِ في رياض الإعجاز البلاغيِّ للقرآن الكريم، ذلك الكتابُ العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ مِنْ بينِ يديْهِ ولا مِنْ خلفِهِ، يَطيبُ لي أنْ أضعَ في هذه الخاتمةِ جُملةً من نتائجِ البحثِ:

- بابُ الاجتهادِ بالتأمُّلِ في وجوهِ الإعجازِ القُرآنيِّ كانَ ولا يزالَ وسيظلُّ مفتوحًا إلىٰ يوم القيامة، فهو الكتابُ الخالدُ المتجدِّدُ الَّذي لا يخلَقُ علىٰ كثرة الردِّ، والَّذي لا تنقضي عجائبُهُ.
- تمتازُ سورةُ يوسف من بين جميع السُّورِ الطِّوالِ بتضمُّنِها قصَّةً كاملةً تدورُ حولَ شخصيَّةٍ محوريَّةٍ واحدةٍ، وبكثرةِ الموسوعاتِ والكتبِ والبُحوثِ التي كَسَرها مؤلِّفُوها علىٰ تفسيرِها، أو تحليلِ خَصائِصها الأسلوبيَّةِ من زَوايا لِسانيَّةٍ أو بلاغيَّةٍ أو قَصصيَّةٍ أو تربويَّةٍ أو دعويَّةٍ أو حِجاجيَّةٍ مختلفةٍ.
- وردَ التَّعبيرانِ (فلمَّا – ولـمَّا) في سُورةِ يوسف تسعَ عشرةَ مرَّةً، جاء فيها التَّعبيرُ بالفاءِ في ثلاثةَ عشرَ موضعًا، والتَّعبيرُ بالواوِ في سِتَّةِ مَواضعَ.
- عُنِيَ الحُفَّاظُ بنظمِ هذه المواضعِ في أبياتٍ لِتيسيرِ ضَبْطِها، ابتداءً من عَلَمِ الِّدينِ السَّخاويِّ (ت٦٤٣هـ)، وانتهاءً برُوَّادِ مواقعِ التَّواصُلِ الاجتماعيِّ، الَّذينَ أسرفوا في نظمِ أو تذليلِ هذه المتشابهاتِ بصورٍ مختلفةٍ.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

- مع التَّقديرِ التَّامِّ لمحاولاتِ نظمِ هذه المتشابهاتِ، حيثُ إنَّها تُفيدُ عند الاستظهارِ، وبخاصَّةٍ في الصَّلواتِ والمسابقاتِ، ولكنَّها عديمةُ الجَدْوىٰ في مَقامِ التَّدبُّر، وهو الغايةُ التي حضَّنا اللهُ عليها في غيرِ آيةٍ، وحَرَصَ علىٰ الالتزامِ بها الصَّحابةُ والتَّابعونَ والعلماءُ الرَّاسخونَ.
- قَصْرُ بلاغَةِ التَّعبيرِ بالأداتينِ علىٰ ما قرَّرهُ النُّحاةُ من معنىٰ التَّرتيبِ والتَّعقيبِ في الفاءِ، ومُطلقِ الجمعِ في الواوِ يختزلُ كثيرًا من المعاني البيانيَّة، ويُهدرُ كثيرًا من ظلال المعاني، الَّتي ينبغي الوقوفُ عليها، بل يَتناقضُ مع تَعاقُبِ الأداتيْنِ علىٰ فعلٍ واحدٍ في السُّورةِ، كما في سِياقِ التَّجهيزِ في موضعَيْنِ، وسِياقِ الدُّخولِ علىٰ يوسفَ في مَوْضِعَينِ.
- وضع الباحثُ ستَّ قواعدَ للتَّفريقِ بين هذهِ المواضعِ، الأُولَىٰ تتعلَّقُ بقِصَرِ المدَّة الزَّمنيَّة أو طُولها، والثَّانيةُ تُشيرُ إلىٰ حالةِ القلقِ والتوتُّرِ والاضطرابِ النَّفْسِيِّ في مُقابلِ الهُدوءِ والاسترخاءِ والطُّمأنينةِ، والثالثةُ تتناغمُ مع أداءِ العملِ مُسارقةً ومُخالسةً علىٰ النَّقيضِ من أدائِهِ بتريُّثٍ وهدوءٍ، والرَّابعةُ تَرتبطُ بوقوعِ الأمرِ بصورةٍ فُجائيَّةٍ تَكسِرُ أُفُقَ التَّوقُّعِ بخلافِ حصولِهِ بطريقةٍ منطقيَّةٍ مُتوقَّعَةٍ، والخامسةُ تُومئُ إلىٰ وُقوعِ الفعلِ مع القَصْدِ وتَبييتِ النِّيَّةِ في مُقابلِ وُقُوعِهِ دونَ قصدٍ أوْ ترتيبٍ مُسبَقٍ، والأخيرةُ تدلُّ علىٰ صُدورِ الأمرِ مُقترنًا بالشِّدَّةِ والصَّرامةِ علىٰ عكسِ صُدُورِهِ علىٰ وجهِ الالتماسِ أو الرَّجاءِ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

هذا ما هداهُ إليه اجتهادُ الباحثِ، فَما كانَ من صوابٍ فمنَ الله وَحدَهُ، وما كانَ من زَلَلٍ، فمن نفسي ومن الشَّيطانِ، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيبُ.

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718 المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أهمُّ المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

(أ) الكتب:

١. البخاري، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل. "صحيح البخاري". تحقيق مصطفىٰ ديب البغا. (ط٥، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

٢. التِّرمذيّ، محمَّد بن عيسىٰ بن سَوْرة. "سنن التِّرمذيّ". تحقيق أحمد محمَّد شاكر (وآخرين). (ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

٣. أبو تمَّام، حبيب بن أوس الطَّائيّ. "ديوان أبي تمَّام". شرح الخطيب التَّبريزيّ، تحقيق محمَّد عبده عزَّام. (ط٥، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م).

٤. ابن حزم، أبو محمَّد علي بن أحمد القرطبيّ الظاهريّ. "الفِصَل في الملل والأهواء والنحل". (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت).

٥. أبو حمدة، محمَّد علي. "في التذوُّقِ الجماليِّ لِسُورةِ يُوسف: دراسة نقديَّة إبداعيَّة". (ط١، الأردنّ، عمَّان: دار البشير، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٦. أبو حيَّان، محمَّد بن يوسف الأندلسيّ. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي العطَّار، وزهير جعيد، وعرفان العشا حسُّونة. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٧. الخضري، محمَّد الأمين. "من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم)". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

٨. الخطيب الإسكافيّ، محمَّد بن عبد الله. "درَّة التنزيل وغرَّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز". رواية ابن أبي الفرج الأردستانيّ. (ط١، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٩. الرَّافعيّ، مصطفىٰ صادق. "إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة". (ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

١٠. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل". (وبهامشه أربعة كتب). تحقيق مصطفىٰ حسين أحمد. (ط٣، القاهرة: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي ببيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

١١. السَّامرائيّ، فاضل صالح. "معاني النَّحو". (ط٢، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).

١٢. السَّخاويّ، علم الدين أبو الحسن علي بن محمَّد المصري. "هِداية المرتاب، وغاية الحُفَّاظ والطُّلاب، في تبيين مُتشابه الكتاب". تحقيق عبد

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

القادر الخطيب الحسنيّ. (ط١، دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دار الفكر، ١٩٩٤م).

١٣. السَّمعانيّ، أبو المظفر منصور بن محمد. "تفسير القرآن". تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عبَّاس. (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

١٤. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. "الكتاب". تحقيق عبد السلام محمَّد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٥. الطَّبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير. "جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبريّ)". تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي. (ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

١٦. العلمي، عبد الله العلميّ الغزيّ الدمشقي. "مؤتمر سورة يوسف". تقديم العلامة محمَّد بهجة البيطار. (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

١٧. القشيري، عبد الكريم بن هوازن. "لطائف الإشارات (تفسير القشيري)". تحقيق إبراهيم البسيونيّ. (ط٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠٠م).

١٨. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. "فضائل القرآن". تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري. (ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٦هـ).

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

١٩. المبارك، محمد. "دراسة أدبية لنصوص من القرآن". (ط٥، بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٢٠. المراديّ، بدر الدين حسن بن قاسم. "الجنىٰ الداني في حروف المعاني". تحقيق فخر الدين قباوة، محمَّد نديم فاضل، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٢١. نوفل، أحمد. "سورة يوسف دراسة تحليلية". (ط١، الأردن، عمَّان: دار الفرقان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٢٢. ابن هشام، عبد الله بن يوسف الأنصاريّ. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق عبد اللطيف الخطيب. (ط١، الكويت: السلسلة التراثية: ٢١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

(ب) المقالات المنشورة في الدوريَّات العلميَّة:

(١) نوح، أحمد عبد الله؛ جاسم، إيمان عبد. "التحوُّل النسقيُّ لألفاظ الرؤيا في القرآن الكريم: دراسة في تحليل الخطاب". *الخليج العربي*. مج.٥٢، ملحق، (مارس ٢٠٢٤م). علىٰ الرابط:
https://0810gjb81-1106-y-https-search-mandumah com. mplbci. ekb. eg/Record/1580396

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

(٢) عزيز، نور حسين؛ الياسري، يعقوب يوسف. "المغايرة اللفظية بين النص القرآني والنص الروائي دراسة دلالية. لفظ (الغناء) أنموذجًا". *مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ذي قار*. مج. ١٥، ع. ٤. (ديسمبر ٢٠٢٥م). علىٰ الرابط:
https://jedh. utq. edu. iq/index. php/main/article/view/750/685

(ج) المواقع الإلكترونية:

(١) الأسئلة الحسان في متشابهات القرآن، علىٰ الرابط (استُرجِعتْ بتاريخ ١٣/ ١٢/ ٢٠٢٥ م):

https://www. facebook. com/groups/209158441370104/posts/600784805540797/

(٢) مجموعة الاستعداد لامتحان الأوقاف ٢٠٢٦م، علىٰ الرابط (استُرجِعتْ بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٥م):

https://www. facebook. com/groups/1136375276393810/posts/2738322762865712/

(٣) لمسات بيانية، حوار مع د. فاضل صالح السامرائي علىٰ قناة الشارقة، علىٰ الرابط (استُرجِعتْ بتاريخ ٠٣/ ٠٥/ ٢٠٢٦م):

https://www. youtube. com/watch?v=UH2itsgDIlI

Romanization of references' list

Al-Qur'an Al-Kareem

(A) Books:

1. Al-Bukhari, Abu Abd Allah Muhammad ibn Ismaeil. "Sahih Al-Bukhari". taḥqīq Mustafa Deeb Albugha. (T. 5, Dimashq: Dar Ibn Kathirin, Dar Alyamamati, 1414H/ 1993).
2. Al-Tirmidhi, Muhmmad ibn Eisaa ibn Sawrah. "Sunan Al-Tirmidhi". taḥqīq Ahmad Muhammad Shakir (Wa akhrin). (T.2, Al-Qahirah: Sharikat maktabat wa matba'at Mustafa Al-Babi Al-Halbi, 1395H/ 1975).
3. Abu Tammam, Habib ibn Auws Altta'i. "Diwan Abi Tammam". Sharh Al-Khatib Al-Tabrizi, taḥqīq Muhammad Abduh Azzam. (T.5, Al-Qahirah: Dar Al-Ma'arif, 1987).
4. Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali ibn Ahmad Al-Qurtubi Al-Zahiri. "Al-Fisal fi al Milal wa Al-Ahwa' wa -al Nihal". (T.1, Al-Qahirah: Maktabat Al-Khanji, D. T).
5. Abu Hamdah, Muhammad Ali. "Fi Al-Tadhawwuq Al-Jamali li-surat Yusuf: Dirasah Naqdeyyah Ibdaeyah". (T.1, Al-Aurdun, Amman: Dar al-Bashir, 1405H/ 1985).
6. Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf Al-Andalusi. "Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir". taḥqīq Sidqy Al-Attar, Zuhiyr Jiai, Erfan Alasha Hassunah. (T.1, Beirut: Dar Al-Fikr, 1420H/ 2000).
7. Al-Khudari, Muhammad Al-Amin. "Min Asrar Huruf Al-Atf fi Al-Dhikr Al-Hakim (Al-Fa' & Thumma)". (T.1, Al-Qahirah: Maktabat Wahbah, 1414H/ 1993).
8. Al-Khatib Al-Iskafi, Muhammad ibn Abd Allah. "Durrat Al-Tanzil wa Ghurrat Al-Ta'wil fi Bayan Al-Aayat Al-Mutashabihat fi Kitab Allah Al-Aziz". Riwayat Ibn Abi Al-Faraj Al-Aurdstany. (T.1, Beirut: Dar Al-Aafaq Al-Jadidah, 1493H/ 1973).
9. Al-Rrafi'i, Mustafa Sadiq. I'jaz Al-Quran wa Al-Balaghah Al-Nabawiyyah". (T.8, Beirut: Dar Al-Kitaab Al-Aarabi, 1425H/ 2005).
10. Al-Zamakhshari, Jar Allah Mahamud ibn Umar. "Al-Kashshaf an Haqaiq Ghawamid Al-Tanzil, wa Uyun Al-Aqawil, fi Wujuh Al-Ta'wil". (wa Behamishih Arba'at kutub). taḥqīq Mustafa Husayn Ahmad. (T.3, Al-Qahirah: Dar Al-Rayyan li Al-Turath, Dar Al-Kitab Al-Aarabi bi Beirut, 1407H/ 1987).
11. Al-Samarra'i, Fadil Salih. "Ma'ani Al-Nahw". (T.2, Dimashq, Beirut: Dar ibn Katheer, 1441H/ 2020).
12. Al-Sakhawi, Alam Al-Din Abu Al-Hasan Ali ibn Muhammad Al-Misri. "Hidayt Al-Murtab, wa Ghayat Al-Huffaz wa Al-Tullab, fi Tabin Mutashabih Al-Kitab". taḥqīq Abd Al-Qadir Al-Khatib Al-Hasany. (T.1, Dimashq: Dar Al-Ghauthani li Al-Dirasat Al-Qur'aniyyah, Dar Al-Fikr, 1994).
13. Al-Sam'ani, Abu Al-Muzaffar Mansur ibn Muhammad. "Tafsir Al-Quran". taḥqīq Yasir ibn Ibrahim, & Ghanim ibn Abbas. (T.1, Al-Reyad: Dar Al-Watan, 1418H/ 1997).

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
(Issn-E): 1658-9718

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

14. Sibawayh, Abu Bishr Amr ibn Uthman ibn Qanbar. "Al-Kitab". taḥqīq Abd Al-Salam Muhammad Harun. (T.3, Al-Qahirah: Maktabat Al-Khanji, 1408H/ 1988).

15. Al-Tabary, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir. "Jami' Al-Bayan 'an Ta'wil Aay Al-Quran (Tafsir Al-Tabary)". taḥqīq Abd Allah Abd Al-Muhsin Al-Turki. (T.1, Al-Qahirah: Dar Hajar, 1422H/ 2001).

16. Al-Alami, Abd Allah Al-Alami Al-Ghazzi Al-Dimashqi. "Mu'tamar Surat Yusuf". Taqdim Al-Allamah Muhammad Bahjat Al-Bitar. (T.1, Dimashq: Dar Al-Fikr, 1381H/ 1961).

17. Al-Qushayri, Abd Al-Karim ibn Hawazin. "Lata'if Al-Isharat (Tafsir Al-Qushayri)". taḥqīq Ibrahim Al-Bsyuni. (T.3, Al-Qahirah, Al-Hay'at Al-Misryyah Al-Ammah li Al-Kitab, 2000).

18. Ibn kathir, Abu Al-Fida' Isma'il ibn Umr. "Fada'I Al-Qqur'an". taḥqīq Abi Ishaq Al-Huwayni Al-Athari. (T.1, Maktabat Ibn Taymiyah, Al-Qahirah, 1416H).

19. Al-Mubarak, Muhammad. "Dirasat Adabiyyah li Nusus min Al-Quran". (T.5, Beirut: Dar Al-Fikr, 1419H/ 1998).

20. Al-Muradi, Badr Al-Din Hasan ibn Qasim. "Al-Jana al-Dani fi Huruf Al-Ma'ani". taḥqīq Fakhr Al-Din Qabawah & Muhammad Nadim Fadil, (T.1, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1413H/ 1992).

21. Nawfal, Ahmad. "Surat Yusuf Dirasah Tahliliyyah". (T.1, Al-Urdun, Amman: Dar Al-Furqan, 1409H/ 1989).

22. Ibn Hisham, Abd Allah ibn Yusuf Al-Ansary. "Mughni Al-Labib 'an Kutub Al-A'arib". taḥqīq Abd Al-Latif Al-Khatib. (T.1, Al-Kuwait: Al-Silsilh Al-Turathiyyah: 21, 1421H/ 2000).

(B) Websites:

(1) Al-As'ilah Al-Hisan fi Mutashabihat Al-Quran, Ala Al-Rabit (isturji'at bi tarikh 13/12/2025):

https://www. facebook. com/groups/209158441370104/posts/600784805540797/

(2) Majmu'at Al-Isti'dad li Imtihan Al-Awqaf 2026, Ala Al-Rabit (isturji'at bi tarikh 15/12/2025):

https://www. facebook. com/groups/1136375276393810/posts/2738322762865712/

(3) Lamasat Bayaniyyah, Hiwar ma'a Dr. Fadil Salih Al- Samarra'i Ala Qanat Al-Shariqah, Ala Al-Rabit (isturji'at bi tarikh 18/2/2026): https://www. youtube. com/watch?v=UH2itsgDIlI

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

فهرس الموضوعات

ملخَّص البحث ١

Abstract ٣

مقدمة ٥

المبحث الأوَّل: القواعدُ المُستنبَطةُ ١٧

المبحث الثاني: التَّحليلُ النَّحويُّ للأدوات ١٩

المبحث الثالث: محاولات الضَّبط الإحصائيِّ ٢٢

المبحث الرَّابع: في رياض التَّحليل البلاغيِّ ٢٧

الخاتمة ٤٧

أهمُّ المصادر والمراجع ٥٠

Romanization of references' list ٥٥

فهرس الموضوعات ٥٧

DOI Prefix 10.62488 (Issn-L): 1658-7642
المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية (Issn-E): 1658-9718